

د. محمد عبد السلام إبراهيم

الإنجاب والمأثورات الشعبية

الإنجاب والمأثورات الشعبية

دراسة عن محافظة الشرقية

تأليف

د. محمد عبد السلام إبراهيم

كلية الآداب - جامعة الزقازيق

الطبعة الأولى

١٩٩٦م



عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

مدير النشر: محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف : منى العيسوى

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٦ شارع يوسف فهمى - اسباتس - الهرم - ج.م.ع - تليفون : ٣٨٥١٢٧٦

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

6, Yousef Fahmy St., Spates - Elharam - A.R.E. Tel : 3851276

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى روح أبى عبد السلام الفلاح المصرى الطيب

حبا وعرفانا ووفاء

محمد عبد السلام

مقدمـــة

- هدف البحث .
- ميدان البحث .
- المدى الزمنى لجمع المادة .
- المأثورات الشعبية ووظيفتها فى حياة الجماعة .

مقدمـــــــة

هدف البحث :

يستهدف هذا البحث جمع مادة المأثورات الشعبية ، والممارسات المرتبطة بالإنجاب ، ودراستها بهدف التعرف عليها وفهمها ، ثم وصفها وتحليلها ، والكشف عما تحمله من قيم ومضامين تتصل بموضوع الإنجاب ، وعن الدور الذى تسهم به مع غيرها من العوامل فى تكييف سلوك الناس إزاء هذا الموضوع الاجتماعى المهم .

ميدان البحث :

ميدان هذا البحث هو القرية المصرية ، لأنها الحقل الخصب للمأثورات والممارسات الشعبية، وذلك بحكم طبيعتها وظروف حياتها الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، يقول الدكتور محمد الجوهرى : " تتميز الطبقات الدنيا خاصة فى مجتمعاتنا التى لازالت تقليدية فى معظم جوانب حياتها بضخامة حظها - خاصة الطبقات الريفية منها - من التراث الاجتماعى لبيئتها الشعبية ، وتتضح لنا شواهد كثيرة على ذلك منها ، المسكن التقليدى ، وتخطيط القرية ، وأساليب العمل التقليدية والزى الشعبى المتوارث ، والمعارف التقليدية عن الطقس ، ومبادئ التنبؤ به والتعرف عليه ، والعادات الاجتماعية الشائعة ، والمأثورات الشعبية القديمة ، والتراث الأدبى الشعبى سواء فى الأغانى أو الحكايات ، أو الألغاز والأحاجى ... الخ . فهذه كلها مجالات تتفوق فيها الطبقات الريفية على ماعداها من سائر فئات المجتمع ، وتتميز فوق كثرة استهلاكها منها بإبداعيتها ، وقدرتها الخلاقة فى تلك الأنواع " [1].

ولقد تحدد هذا الميدان بعدد من قرى محافظة الشرقية ، حيث يقيم الباحث ويعمل ، وذلك وفقا لاعتبارات هى :

١ - ماعرف عن القرية المصرية من نزوعها إلى اتباع ممارسات معينة تتصل بالإنجاب .

٢ - سهولة اتصال الباحث بمن يمكن أن يعينوه على الوصول إلى مصادر لمادة البحث .

---

١ - الدكتور محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ، دراسة فى الانثروبولوجيا الثقافية ، الطبعة الأولى ١٩٧٥ ، دار المعارف بمصر ، ص ٢٩٠ .

ولقد حاول الباحث أن يستقى نماذجه من مناطق مختلفة فى محافظة الشرقية ، فكان مجال بحثه القرى الآتية :

١ - قرية شيبة النكارية مركز الزقازيق .

٢ - قرية كفر محمد حسين مركز الزقازيق .

٣ - صفيطة مركز الزقازيق .

٤ - قرية مهدية مركز ههيا .

٥ - قرية الشبراوين مركز ههيا .

٦ - قرية عزبة الديب مركز أبو كبير .

٧ - قرية السماعنة مركز فاقوس .

٨ - قرية أكاد البحرية مركز فاقوس .

٩ - قرية صان الحجر القبلية مركز الحسينية .

١٠ - قرية الهوابر مركز ديرب نجم .

١١ - قرية الجديدة مركز منيا القمح .

١٢ - قرية ميت بشار مركز منيا القمح .

١٣ - قرية العدلية مركز بلبيس .

١٤ - قرية القرين مركز أبو حماد .

وفضلا عن هذه القرى فقد امتد ميدان البحث إلى مدينة الزقازيق ، ومدينة بلبيس ليرى الباحث أثر امتداد هذه الممارسات من القرية إلى المدن المجاورة ، واشتهار المدينتين ببعض الممارسات المتصلة بالإنجاب .

المدى الزمنى لجمع مادة البحث :

استغرقت عملية جمع المادة ثلاث سنوات ، من أوائل سنة ١٩٧٦ حتى أواخر سنة ١٩٧٨ وذلك على فترات متقطعة ، ومن خلال زيارات ميدانية شخصية قام بها الباحث لتلك القرى .

طريقة جمع المادة ووسائلها :

توسل الباحث فى جمع مادته بوسيلتى الملاحظة الشخصية المباشرة ، والمقابلة بينه وبين الأفراد ، ثم بينه وبين الجماعات ، ولم تكن هذه المقابلات مجرد لقاءات ولكنها كانت مشاركة من قبل الباحث فى بعض الممارسات الشعبية الخاصة بموضوع البحث .

ولقد اعتمد الباحث فى عملية الجمع على التسجيل الصوتى ، والتدوين وتسجيل الملاحظات والمعلومات والنصوص ، والتصوير الفوتوغرافى للأشياء والأماكن ، والممارسات والأشخاص الذين يرتبطون بموضوع البحث .

كما اعتمد فى الحصول على مادته على الرواة ، وقد تخيرهم من نوعيات مختلفة من الذكور والإناث ، منهم الدايات ، والنسوة اللاتى اشتهرن بضروب من المعرفة ، والممارسات المرتبطة بالحمل والإنجاب ، مثل الوصفات البلدية ، تحضير القرينة ، طرق الخرز ، ثم النسوة اللاتى اشتهرن بـ « الرقوة » ، وبالإضافة إلى هؤلاء النسوة اتصل الباحث بأشخاص لهم صلة بالأماكن التى تجرى فيها ممارسات معينة مرتبطة بالإنجاب ، وغيرهم ممن اشتهروا بصناعة أشياء لها علاقة بهذه الممارسات مثل صانع قلة السبوع ، وصانع التمائم ، كما اعتمد الباحث على خبرته الشخصية ومحفوظاته من التراث الشعبى على أساس أنه ريفى الأصل والمنشأ .

وكان الباحث يلتقى برواته فى بيوتهم ، وأماكن عملهم فيبدأ بأن يشرح لهم مهمته ويبين لهم هدفه ، ويعمد إلى التنويه بأهمية المأثورات الشعبية وكذا الممارسات ، وذلك بهدف بث الإحساس فى الراوى مسبقا بقيمة ما يحمله من تراث ، ولم يكن يقدم هدايا أو وعوداً لرواته، وإن كان قد قام ببعض المجاملات التى كانت تقتضيها الظروف ، فقدم " نقوط " لبعض الدايات فى أثناء حضوره احتفالات السبوع لبعض المواليد . كما قدم " رهن " نقديا ليتمكن من الحصول على عقد من الخرز الذى يؤثر فى الخصوبة بحسب الاعتقاد الشعبى " يفك ويكبس " ليقوم بتصويره ، ولقد كان يخبر رواته بأنه سيسجل ما يروونه ، وكان بعضهم يرفض ذكر اسمه فكان يحترم رغبته ، وفى نهاية الجلسة كان يعيد على مسامع رواته ما سجله لهم وكان يلاحظ أن ذلك يجلب السرور إلى نفوسهم .

وعلى الرغم من هذا التقليد الذى أخذ الباحث به نفسه فإنه يعترف بأنه قد اضطر فى بعض الأحيان إلى الخروج عليه – وهو يعرف أن ذلك خطأ وهو يعتذر عنه – فقد عمد فى بعض

الظروف إلى إخفاء جهاز التسجيل وتظاهر بأن زوجته تعانى من مشكلة عدم الإنجاب ، وذلك بدافع محاولة اقناع إحدى المحترفات بأن تقوم بطقوس تحضير القرينة أمامه .

ويشهد الباحث بأن رواته كانوا متعاونين معه بشكل عام باستثناء قلة من النساء عرفت بالاحتراف والتكسب فقد كانت الواحدة منهن تعمد إلى المراوغة والتهرب .

ويسجل الباحث أنه قد حصل على مادة بحثه من رواته ومصادره من القرى التى سبق ذكرها فيما عدا الأمثال فقد جمع من أى مكان خطته قدماه فى محافظة الشرقية .

المأثورات الشعبية ووظيفتها فى حياة الجماعة :

المأثورات الشعبية هى حصيلة التراث الشعبى بأسره ، وهى تجسد ذوق الجماعة الشعبية وحسها الفنى ، وتعبر عن مشاعرها ، وتحمل قيمها وتقاليدها ، وتبلور نتاج خبرتها المتجمعة من تجربتها الممتدة فى الحياة ، وتتردد على ألسنة أفراد الجماعة ، وفى أسماعهم خلال الممارسات والمواقف والمناسبات والأحوال التى يحيونها ، والتى ترتبط بها تلك المأثورات ارتباطًا عضويا ، فتفعل فيهم فعلها إذ ينفذ تأثير ما تحمله من قيم ومضامين إلى أعماق الواحد منهم فيشارك غيره من العوامل فى تشكيل أحاسيسه ودوافعه على نحو يتسق مع تلك القيم والمضامين بحيث يتجانس مع بقية أفراد الجماعة ولا يشذ عنهم ، يقول الدكتور عبد العزيز الأهوانى " أن ارتباط شخصية الفرد فى البيئات الساذجة أشد وأمتن ، واحترامه للقيم الجماعية وكراهيته للشذوذ عن الجماعة يجعله ذهنيا يتداول العملة التى صدرت أو ضربت فى دار الجماعة "[١] .

وحين تفعل المأثورات الشعبية هذا الفعل فإنها تقوم بربط أفراد الجماعة على المستوى الأفقى ، ويربط أجيالها على المستوى الرأسى ، ولهذا تعد المأثورات الشعبية من أهم العوامل التى تكسب المجتمع ملامحه وقسماته الخاصة به ، وتبرز طابعه المميز وشخصيته القومية الأصيلة .

ويعتبر ارتباط المأثور لشعبى بممارسة ، أو مناسبة ، أو موقف إحدى السمات البارزة التى تميزه وتحدد طبيعته ، وتبين كيف يعمل ، وكيف يؤدى دوره فى حياة الجماعة ، يقول الأستاذ

---

١ - انظر فى ذكرى طه حسين ، إشراف الدكتور عبد الرحمن بدوى ، مقال الدكتور عبد العزيز الأهوانى "أمثال العامة فى الأندلس " ص ٢٣٥ .

أحمد رشدى صالح : " إن المأثورات الشعبية تؤدى وظائف لاغناء عنها فى حياة أصحابها ، وقد تكون هذه الوظيفة هى ترسيخ معتقد أو قيمة أخلاقية ، أو هى تعليم من يتلقاها بعض هذه المعارف الشعبية ، أو هى تأكيد قيمة اجتماعية أو اعتقادية ، أو هى المعاونة على ضبط حركة الجسم ، أو هى الترويح فى إطار الحياة الشعبية ، ... ومن هنا يتجه فريق من الباحثين إلى تصنيف تلك المأثورات حسب مناسبات أدائها ، والوجوه المستعملة لها ، فتكون هناك مأثورات تصاحب دورة الحياة من ميلاد ، وطفولة ، ومراهقة ، وزواج ، ووفاة ، وهناك مأثورات تصاحب حياة الإنسان الفرد فى عمله ولهوه ، وفى مظانه الاعتقادية ... الخ[١].

والعلاقة بين المأثور الشعبى ومناسبته أو وجه استعماله ومستعمليه علاقة عضوية حية يتبادلون خلالها التأثير والتأثر ، فالمناسبة أو الموقف أو التجربة قد أنتجت المأثور الشعبى الذى صاغها وعبر عنها وحمل نتاجها باعتبارها تجربة إنسانية عاشتها الجماعة ، لكنه يصير بعد ذلك تعبيرا حيا له وجوده وكيانه وديمومته ، وله فعله وأثره فى حياة الجماعة التى يحيا بينها ، وله دوره وتأثيره فى المناسبات والممارسات والمواقف التى كانت أمثالها أصولا له .

فأغنية الزواج على سبيل المثال قد اقتضتها وأنتجتها مناسبة الزواج بداية ، وذلك من خلال وجدان وقرائح أفراد الجماعة الموهوبين الذين عاشوا المناسبة ، ثم صارت من بعد ذلك قيمة اجتماعية وأخلاقية وسلوكية إلى جانب كونها تعبيرا فنيا ، ولهذا تظل الجماعة ترددها فى مناسباتها الحقيقة وفى غير هذه المناسبات ، وتظل الأغنية تحمل القيم والمضامين التى تعتنقها الجماعة فتعمل على ترسيخها فى وجدان أفرادها طالما ظلت قادرة على الاستجابة لاحتياجاتهم النفسية ، ومتطلباتهم المعاشة ، طالما ظلت متسقة مع الظروف الاجتماعية ، والثقافية التى يعيشونها ، حتى إذا فقدت الأغنية أو على الأقل بعض محتواها قدرتها على هذا الاتساق نتيجة تغير ظروف الحياة المادية انطبع هذا التغير بدوره فى الأغنية فإذا بالتغير يعترى بعض ألفاظها أو محتواها مع الإبقاء على اللحن ، وقد ينزوى مأثور آخر كأن يكون قصة أو مثلا شعبيا أمام تيار أشكال التعبير الجديدة التى تساير متغيرات الحياة .

وإنه لمن الصعب تمثل المأثور الشعبى إذا تم فصله عن إطاره ومناسبته ووظيفته ، لذا فإنه يتحتم على الباحث فى أشكال التعبير الشعبى أن يلتقى معها فى مناسباتها الحية ، وأن ينظر

---

١ - أحمد رشدى صالح ، الأدب الشعبى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧١م ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

إليها بوصفها مظهراً يخفى وراءه تاريخا حضاريا موغلا فى القدم ، وواقعا نفسيا خفيا نبغى الكشف عنه ، إن شئنا أن نتبين كيف تتعامل الجماعة الشعبية مع الحياة الواقعية والغيبية، وكيف تجعل هذا التعامل أساسا لسلوكها ، فالمأثور الشعبى يرتبط بمناسبته ارتباطا موحدا فكل منهما يكشف عن معنى الآخر ويفسره ، ويكشف عن المجهول فى حياه الإنسان الشعبى.

وللإنجاب مأثورات وممارسات شعبية ارتبطت به ، باعتباره حلقة من حلقات دورة الحياة الإنسانية وهذه المأثورات تصور مدى اهتمام الجماعة بالإنجاب وبالذرية ، وتجسد تقاليدها وممارساتها المرتبطة بهذا الأمر المهم فى حياتها ، ولهذا فهى تعد من العوامل الهامة التى تؤثر فى دوافع الإنجاب لدى الطبقات الشعبية التى تتداول تلك المأثورات وتتعرض لتأثيرها .

ومن المعروف أن مصر تعانى من آثار مشكلة سكانية حادة تنعكس نتائجها الخطيرة على شتى مناحى حياة الشعب المصرى ، ويعود جزء كبير من هذه المشكلة إلى السلوك الإنجابى السائد فى الطبقات الشعبية ، والذى يتسم بارتفاع معدل الخصوبة وارتفاع معدل المواليد بشكل حاد لا يتناسب مع معدل ارتفاع الدخل الذى تحققه جهود التنمية ، الأمر الذى يحتم أن تتضافر كافة الجهود العلمية للعمل على دراسة مكونات ودوافع هذا السلوك الخطير توطئة لابد منها لأية جهود توجه للتأثير فيه ومحاولة ترشيده .

ومما لاشك فيه أن المأثورات الشعبية الخاصة بالإنجاب هى من العوامل الهامة المؤثرة فى وجدان الإنسان الشعبى ومن ثم فى سلوكه الإنجابى ، ولهذا فهى جديرة بالجمع والدراسة والتحليل والاستقراء وتبين ما تحمله من قيم ومضامين تتصل بالإنجاب والكشف عن أثرها فى السلوك الإنجابى للطبقات الشعبية ثم العمل على الاستفادة منها فى مساندة وتعضيد الجهود التى تبذل والأنشطة التى تمارس من أجل الوصول إلى حل للمشكلة السكانية التى تعانى منها مصر ، وهو ما ستحاول هذه الدراسة النهوض به وفاء لحق هذا الوطن على أبنائه أن يعملوا على حل مشكلاته ، وتحقيقا لمبدأ أن تكون الدراسات العلمية فى خدمة العمل على حل مشاكل المجتمع والله الموفق .

الفصل الأول

الأمثال والأقوال الشعبية المرتبطة بالإنجاب

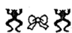
- قيمة الإنجاب .
- الإبن والعصبية .
- إنجاب البنت .
- الإبن الوحيد .
- الأحفاد .
- أبناء الغير .
- العلاقة الوراثية بين الآباء والأبناء .
- الذرية وعاقبة أفعال الآباء .
- عبء الأبناء .
- الخصوبة .
- العقم .
- سن الإنجاب .
- العلاقة بين الآباء والأبناء .
- أهم القيم المرتبطة بالإنجاب وبالذرية كما تكشف عنها الأمثال والأقوال الشعبية .

الأمثال والأقوال الشعبية المرتبطة بالإنجاب

المثل الشعبى من أكثر أشكال التعبير الأدبى الشعبى جريانا على الألسن ، وذلك لأنه يرتبط بتجارب وخبرات ، ومواقف إنسانية لا حد لها ، فهو يوشك أن يتناول كل أوجه حياة الإنسان ، والمثل الشعبى أكثر شيوعا فى الأوساط الشعبية منه فى أوساط المثقفين يقول الدكتور عبد العزيز الأهوانى " الأمثال أكثر انتشارا بين الأميين منها بين المثقفين الذين يتقنون الكتابة والقراءة ، والبيئات التى تعتمد على الثقافة الشفوية تتداول الأمثال وتحرص على حفظها والاستشهاد بها أكثر من البيئات ذات الثقافة المكتوبة ، لذلك كان سلطان الأمثال فى البوادي والقرى أقوى منه فى المدن والحواضر ... تفسير هذه الظاهرة من الناحية النفسية والاجتماعية يتمثل فى أن ارتباط شخصية الفرد فى البيئات الساذجة بالشخصية الجماعية أشد وأمتن ، واحترامه للقيم الجماعية وكراهيته للشذوذ عن الجماعة يجعله ذهنيا يتداول العملة التى صدرت أو ضربت فى دار الجماعة وهى المثل السائر الذى صبت فيه حكمة الأجيال السابقة ، والذى جعل حكما أو كالحكم فى المنازعات ومنظما للسلوك وقائما مقام الدستور أو القانون فى المعاملات والتصرفات ، فيستخدم الأمثال للتعبير عن نفسه ولإقناع سامعيه ، والتأثير فى معارضيه إذ يذكرهم بالدستور الجماعى ويردهم إلى حكمه [(١)].

لهذا يعد المثل الشعبى من أكثر أشكال التعبير الأدبى الشعبى تصويرا وتعبيرا عن العقلية الشعبية والنظرة الشعبية ، والقيم والأخلاق الشعبية ، ويعد كذلك من أكثر الأشكال قدرة على التأثير فى الوجدان والعقلية الشعبية .

ولقد ارتبط المثل الشعبى بعملية الإنجاب التى يبدأ التفكير فيها بمجرد الزواج ، ولهذا نجده يرتبط بمرحلة ما قبل الإنجاب معبراً عن طموح الآباء فى الأبناء وعن موقفهم من نوع المولود ، وقيمته فى الحياة كما أنه يرتبط بوجود الطفل وطريقة تربيته وعلاقته بوالديه وبالآخرين .



---

١ - فى ذكرى طه حسين ، إشراف الدكتور عبد الرحمن بدوى ، مقال الدكتور عبد العزيز الأهوانى "أمثال العامة فى الأندلس " ص ٢٣٥ .

قيمة الإنجاب

يقولون

« من خلف ما مات »

« الولاد زِكْرَه »

« الولاد قناديل البيت »

وهذه الأمثال تعلل اهتمامهم بالإنجاب فالمثل الأول يتفق مع إحساس الإنسان الشعبى بالزمن فالزمن عنده ديمومة مستمرة ، فكما أن النضرة تتبع الجفاف ، والنهار يتبع الليل والقمر يضمحل ثم يعود إلى الإشراق ، كذلك تستمر الحياة بسبب وجود الأبناء ، ومعنى هذا أن عدم وجود الأبناء - الأمر الذى يأباه الإنسان ويتمنى عدم حدوثه - يتسبب فى انقطاع الحياة ووقوفها عند حد معين .

والمثل الثانى يتفق مع رغبة الإنسان الشعبى فى أن تبقى ذكراه فى الحياة ، ويظهر أن وجود الأبناء هو الذى يحقق له هذه الرغبة ، إذ أنهم يحملون اسمه من بعده فهم ذكراه الباقية.

أما المثل الثالث فيكشف عن عمق البهجة والسعادة اللتين يضفيهما وجود الأبناء على جو الحياة العائلية ويتفق هذا المعنى مع قول الله سبحانه وتعالى ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾[1].

وهكذا تتجمع كل هذه الأسباب لتكون دوافع قوية تدفع الإنسان الشعبى للإنجاب ، بل تدفعه للإكثارمن الإنجاب .



١ - قرآن كريم ، ٤٦ ك ، الكهف ، ١٨ .

الإبن والعصبية

يقولون عن إنجاب الولد :

" كلمة ولد تهز البلد "

" ياريت ولد ورجليه جريد والله الولد عند العدا بيكيد "

" الولد فرحه ولو كان طرحه "

" أم الغلام تستاهل الإكرام "

" أم القعود فى البيت بتعود "

" حطت عجلها ومدت رجلها "

" ربنا يبعت للعويله ولد تقعد جنبه وتتسند "

" يام الولد حطى الولد فى الجيب الواد دخيره للعجز والشيب "

" اللى مالوش ولد عديم الضهر والسند "

" الولد ضهر أبوه "

" الولد دراع أبوه "

" الولد رد لاخواته "

" الولد بيحوش الورسه "

وتكشف أقوالهم هذه عن المكانة التى يحتلها الولد " الذكر " فى نفوسهم [1]، كما تبين جوانب وأبعاد تلك المكانة ، وتصور أثر مولده فيمن حوله ، وبخاصة أمه التى ترتفع مكانتها

١- ينعكس الاهتمام الشعبى بالولد « الذكر » فى الممارسات المرتبطة بحالة الحمل ، فما أن يتأكد حدوث الحمل حتى يبدأ اهتمامهم بمعرفة جنس الجنين ، فيأخذون فى ملاحظة وتتبع كل الظواهر التى تحدث للحامل ، ويحاولون الاستدلال بها على جنس الجنين ومن هذه الظواهر ، لعب الجنين ، واللعب عندهم هو تحرك الجنين داخل الرحم ، وإحساس الحامل بحركته ، وهو يستقبل فى العادة بالفرح إذ يكون فيه الدليل القاطع أن الحمل حقيقة ، وهو يقولون إذا حدث « اللعب » فى آخر الشهر الرابع وكان عبارة عن « سحب بسيط زى سحب القرموط » فإن ما يكون فى الرحم هو " ولد " أما إذا حدث اللعب فى الشهر الخامس وكان عبارة عن « رمح سريع » فإنما يكون فى الرحم " بنت " { فتحية منسى ، داية ، الجديده مركز منيا القمح - بديعة إبراهيم أبو العلا ، داية ، الشبراوين مركز ههيا - بدرية إبراهيم صابر ، داية ، اكياد البحرية مركز فاقوس}.=

وتتدعم بمجرد أن تلده ، وإذا كان مولد الولد يرفع من مكانة الأم فهو يعد بالنسبة للأب دعمًا له ولمكانته الاجتماعية ، فهو يقف معه فى وقت الشدة ، وهو إضافة لمكسب الحياة المادى ، وهو عصبية له فى وجه المناوئين له .

ووجود الابن فى نطاق الأسرة لا يقل أهمية بالنسبة لأخواته البنات عن أهميته بالنسبة للأب والأم معا ، فهو يقف منهن موقف الحارس الذى يصون أعراضهن ، ويحول بينهن وبين الخروج عن التقاليد ، ويحميهن من أن يتعرضن لظلم أو مهانة من أحد وذلك عندما يكبر الأب أو يموت ، كما أنه يكون الحافظ لثروة العائلة من أن تتبدد وتتوزع بين الأقارب ، فوجود الولد الذكر يحجب الورثة من الأقارب ، وتفسر كل هذه الأسباب الحرص الشديد لدى الطبقات الشعبية على إنجاب الذكور ذلك الحرص الذى ينتج عنه الإفراط فى الإنجاب حتى يتحقق إنجاب العدد المرغوب فيه من الذكور .

ترتكز القيمة العالية للولد « الذكر » كما سبق تبينه على أساس أنه مصدر قوة لجميع الأطراف التى تربط به ، أمه ، أبوه ، أخوته ، وقوة الولد مستمدة من دوره الذى يقوم به فى عملية الإنتاج ، ودوره فى تقوية العصبية ، تقول الدكتورة فوزية دياب : " ولو تساءلنا عن ارتفاع قيمة خلف الذكور على قيمة خلف الإناث عند الريفيين لوجدنا السر فى ذلك هو أن الذكور هم اليد العاملة والجلابة للرزق والخير وأنهم مصدر طمأنينة الأسرة على ممتلكاتها وتخليد اسمها ، وحماية نسائها والدفاع عن شرفها ، فالذكور كما يقول المثل عندهم " يأخذون الثأر وينقوا العار " كما أنهم عامل كبير فى تقوية العصبية واتساعها ... الخ [1].

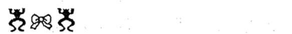
= ومن هذه الظواهر كذلك « شكل بطن الحامل » فبمرور شهور الحمل يزداد نمو الجنين ، ويكبر بطن الحامل ويتغير شكله ، وهم يقولون « إذا كان شكل البطن مستطيلا وكان مرتفعا فما فيه هو « ولد » لأن " الولد يكون عاليا حتى وهو فى البطن " أما إن كان « شكل البطن منبعجا وكان مدليا إلى أسفل فما فيه «بنت»{فتحية منسى ، داية ، الجُديْدة مركز منيا القمح } ، ومن الجدير بالذكر أن اهتمام الطبقات الشعبية المصرية بتخمين جنس الجنين قديم يعود إلى عهد قدماء المصريين يقول الدكتور الدكتور عبد العزيز صالح : "وصورت مخطوطات الطب والرقى بعض جوانب العناية بالحوامل كما صورت شغف أهلها بتخمين نوع الجنين ذكراً كان أو أنثى وجعلت من وسائل هذا التخمين أن تبول الحامل على حفنتين من الشعير والحنطة بشرط أن تضع كل حفنة على حدة فإذا نما الشعير أكثر من نمو الحنطة كان الجنين ذكراً ، وإذا نمت الحنطة أكثر من نمو نبات الشعير كان الجنين انثى { الدكتور عبد العزيز صالح ، الأسرة فى المجتمع المصرى القديم ، المكتبة الثقافية ، ديسمبر ، ١٩٦١ ، القاهرة ، ص ٣٥ } .

وكما سلف القول تعكس كل هذه لممارسات الاهتمام الشعبى العميق بمعرفة جنس الجنين وتؤكد عمق الرغبة الشعبية فى إنجاب الولد « الذكر » ، وتبرز المكانة الرفيعة التى يحتلها فى حياة الأسرة والمجتمع منذ القدم " .

١ – الدكتورة فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، – لم تذكر سنة النشر – ص ٣١٤ .

وإذا كان اصطلاح المثل مأخوذاً من التمثيل فإن هذا يعنى أن المثل يقوم أساسا على الاستعانة بالصورة ، والصورة فى كل شكل من أشكال التعبير الشعبى ، بل وفى التعبير الذاتى منبعها مصدران فإما أن يكون مصدرها الخيال ، وإما أن يكون مصدرها الواقع الحسى، وعلى الرغم من أن الأشياء الحسية فى واقع الإنسان الشعبى تكاد تكون محدودة فإنه يستغلها فى أشكال تعبيره بكل حذق ومهارة ، ويرجع السبب فى هذا إلى أنه لا يستعين بالصورة الحسية إلا وفقا لعلاقته النفسية بها فالمثل الذى يقول " حطت عجلها ومدت رجلها " يقوم على أساس العلاقة النفسية بين الفلاح وحيوانه ، فقد كنى عن ولادة الذكر بقوله " حطت عجلها " والعجل هو وليد البقرة " ذكر " ، وهو من الحيوانات ذات الأهمية فى حياة الفلاح ، فحين يكبر ويبلغ أشده يصير أكبر عون للفلاح فى عمله فى الزراعة ، فهو يدير الساقية ، ويجر المحراث ، ويؤدى الأعمال الشاقة التى تتطلب قوة وجلدا وكذلك الولد يكون عونا لوالده فى عمله الشاق ولذا شبه هذا بذاك ، كما كنى عن أم الولد بقوله « أم القعود » والقعود هو وليد الناقة الذكر ، وهو كذلك من حيوانات الفلاح التى تقوم بدور هام فى مساعدته فى عمله، وهو يتصف بالقوة والجلد والصبر ، وهى صفات يفضلها الفلاح ويتمنى أن يتصف بها ولده ، وهم عادة ما يشبهون فيقولون " فلان جمل المحامل " أى إنه قوى جلد صبور ، والفلاح يريد لولده أن يكون فى قوة الجمل وجلده وصبره ، ولهذا كنى عنه فى طفولته بالقعود .

هكذا ينظرون إلى الولد وعلى ذلك النحو يعبرون عن مشاعرهم نحوه ، ويبرزون القيم التى يضفونها عليه ، وهم يتداولون تلك الأقوال التى تحمل كل ذلك ، فينشأ من هذا التأثير المتبادل القوى بين التعبير والحياة ، أو لنقل بين التعبير وسلوك الإنسان الشعبى فى الحياة .



إنجاب البنت

يقولون عن إنجاب البنت :

" اللى تحت الطرحه ملهاش فرحه "

" ولادة البناته شماته "

" يارب على الطلق الشديد غلام متكونشى بنت ويشمتو اللوام "

" ولادة البناته العرى والشحاته "

" البنت مكسورة الجناح "

" البنات إن ما جابوش العار يجيبو العدو لحد باب الدار "

" الولايا بلايا "

" البنات مربطهم خالى "

" يا مخلفه بنات يا حزينه للممات "

" بنيه على بنيه شمتوا العزال فيه "

" مكروهه وجابت بنت "

" يجعل خلفتك بنات وعشتك شتات "

" أبو البنات يناسب الكلاب "

تكشف هذه الأقوال عن موقفهم من ولادة البنات ، وتبرز الآثار المختلفة التى تترتب على كثرة انجابهن ، وهى تشف عن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وراء كل هذا ، ففى المجتمع الزراعى الذى تقوم فيه العملية الزراعية على المجهود البدنى العنيف ، وتقوم العلاقات فى داخله على صراع المصالح والقوى ، فى هذا المجتمع تكون المرأة التى هى أقل قوة من الرجل تكون أقل اسهاما فى العملية الانتاجية ، وتكون معدومة الأثر تقريبا فى مجال الصراع الاجتماعى ، ولعلها أن تكون سببا من أسباب الضعف فى هذه الناحية ، المرأة عرض، وللعرض حرمته ، وصيانة العرض من القيم التى يحرص عليها الإنسان الشعبى أشد الحرص ، فإن من أكبر المخاوف التى تعترى الإنسان لشعبى الخوف من أن يمس عرضه بسوء تقول الدكتورة فوزية دياب " البنت كأنثى ترتبط فى أذهان الريفيين بفكرة احتمال جلب العار

لأهلها إذا هى فرطت فى عرضها ، لذلك فهم يعتقدون أن خلف الأنثى هم بالليل والنهار ، هم يدوم ولا يفارقهم مادامت لم تتزوج [1].

هكذا يقوم صغر الدور الذى تقوم به البنت فى عملية الإنتاج ، والخوف عليها من أن تفرط فى عرضها فتعرض شرف أسرتها للتلوث ، وما يقتضيه كل هذا من إحساس الأسرة بعبئها الثقيل فى الحفاظ على البنت حتى تتزوج ، يقوم كل هذا عوامل تسهم فى تشكيل الموقف الشعبى الذى تعكسه هذه الأمثال والذى يتسم بعدم التقبل لإنجابها ، والنفور منها ، فهى تستقبل بالوجوم بدلا من الفرح والابتهاج ، ويستجلب مولدها شماتة الأعداء ، ويزعزع مكانة أمها فى الأسرة ، كما أن مولدها يزيد أعباء والدها الذى قد يضطر نتيجة لإنجاب البنات إلى مصاهرة الأرازل من الناس صونا لعرضه ، وخوفا من أن « يبرن ويكسدن » .

غير أن هناك مجموعة أخرى من الأمثال تنهض لترد على الأمثال السابقة ، فتحاول أن تنصف البنت وأمها بحجج مقابلة لا تلغى الحجج الأولى ولكنها تبرز ما للبنت من قيمة فى الحياة ، وهذه الأمثال هى :

" البنت حبيبة أمها "

" اللى يسعدها زمانها تجيب حبايبها قبل صبيانها "

" لولا البنات ما جم الولاد "

" البنات رزقهم واسع "

" رزق البنت برزقين "

" أبو البنات مرزوق "

" البنت لما بتتولد ربنا بيقول لها روحى أنا معين لأبوكى ، والولد لما بينولد ربنا بيقول له روح أنت معين لأبوك " .

وتتمثل قيمة البنت كما تعكسها هذه الأمثال فى أنها حبيبة أمها ، وأنها واسعة الرزق ، وأنها الأصل فى إنجاب الأولاد فهى الأم ، ويسترعى الانتباه فى هذه الأمثال استحسانهم

---

١ - الدكتورة فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، - لم تذكر سنة النشر - ص ٣١٤ .

التبكير بإنجاب البنات ، ولكن يلاحظ أن هذا الاستحسان لم يرد بشكل مطلق وأنه ارتبط بمجئ الذكور من بعد ذلك ، ويمكن تفسير هذا الأمر بأن التبكير بانجاب البنات يوفر للأم من يساعدنها فى النهوض باعباء البيت ، فالبنت عادة ما تساعد أمها فى عمل البيت ، وهنا تبرز القيمة النفعية للبنت ، وربما كان من أسباب استحسان التبكير بانجاب البنت هو أن هذا يتيح للوالدين أن ينهضا بأعباء تربيتها وتزويجها فى وقت مبكر من حياتهما ويطمئنا عليها.

ويمكن القول بأن حب الريفيين لانجاب لذكور وكراهيتهم لإنجاب الإناث يترتب عليهما تكرار الحمل والإنجاب لكى يفوق عدد البنين عدد البنات ، وخاصة إذا كان إنجاب البنات قد تكرر أكثر من مرة ، الأمر الذى يرفع من معدل إنجاب الأسرة المصرية بدون شك .



الابن الوحيد

يقولون عن الإبن الوحيد :

" الحيله " .

" حيلة أمه وأبوه " .

" اللى حيله الشب يا رب " .

" مفيش على الحجر غيره " .

" ديك البرابر " .

" وحدانى " .

" ما شفت أنا ايد تسقف لوحدها ، ولا شفت وحدانى يكيد رجال " .

" واحد أبرك من ميه " .

" واحد يحيى قبيله وقبيله متحييش واحد " .

" واحد وحده يرضى عبده " .

وتبرز هذه الأقوال المكانة الخاصة التى يحتلها الولد الوحيد فى نفوس أهله وذويه ، كما تصور رؤية المجتمع المحيط به ، فتكشف عن أثر الابن الوحيد فى حياة الأسرة والجماعة ، ويظهر منها أن الإبن الوحيد يتمتع بقدر من الاهتمام والرعاية يفوق القدر الذى يتمتع به الابن الذى يمثل فرداً بين أبناء كثيرين ، وأنه ينفرد بهذه المكانة المتميزة وإن كان له أخوات ، فيكون له من التميز بينهن ما يكون للديك بين دجاجاته وهذا التشبيه الطريف يسترعى الاهتمام ويؤكد ما سبق ذكره من أن الإنسان الشعبي يستمد تشبيهاته من خبراته الحسية التى يرتبط بها فى علاقة نفسية حميمة ، ولا تكون الرعاية التى يحظى بها الابن الوحيد من قبل الأبوين فحسب بل تكون من قبل الأقرباء والجيران كذلك .

ويسترعى الانتباه في هذه الأقوال وصفها للولد الوحيد بـ « الحيله » وتعنى كلمة الحيلة عندهم كل ما يملكه الإنسان ، وكذلك وصفها إياه بـ « الوحدانى » ، وتحمل كلمة وحدانى

معانى الشفقة والرثاء ، فالوحدانى عندهم قليل ضعيف فى مواجهة مصاعب الحياة ومصائبها فالإنسان الوحيد لا يمكنه أن يكيد لأعدائه كما لا يمكن لليد الوحيدة أن تصفق ، وإلى هنا تكون هذه الأمثال بمثابة حث للآباء على أن ينجبوا العدد الكبير من الأبناء ، فإذا قدر لهم ألا ينجبوا سوى ابن واحد عبر المثل الشعبى عندئذ عن قيمة البركة التى يودعها الله فى الابن الوحيد وعن أن العبرة ليست فى الكثرة العددية بل فى نوع الإنسان وما قد ينجزه لأهله ومجتمعه من أفعال ذات قيمة .

وهى بهذا تقدم العزاء لمن كان حظه فى الحياة أن يكون له ابن وحيد .

الأحفــــاد

يقولون عن الأحفاد :

" أعز الولد ولد الولد "

" يا ولدى يا ولد ولدى يا ولد بنتى يا ولد الناس "

" أولاد أولادنا أولادنا ، وأولاد بناتنا أولا الناس الغرايب "

" ابن الحبيبة عدى وخلانى ، وابن العدوه عدنى وعدانى "

الحفيد امتداد أبعد لجده ، ومرحلة أخرى من مراحل صيرورته من ناحية ، كما أنه يقوى العصبية ويؤكدها من ناحية أخرى ، ولهذا فهو يحظى بالحب العميق والإعزاز الشديد كما تظهر الأمثال ، ويلاحظ أنها تعكس أثر النظرة الشعبية إلى كل من الذكر والأنثى من حيث تفضيلها الذكر على الأنثى ، فنجد هذا التفضيل ينسحب على ذريتهما ، فيحظى الحفيد ابن الابن بالإعزاز والتقدير أكثر من الحفيد ابن البنت الذى يعد غريبا من وجهة النظر الشعبية ، ويرجع هذا إلى كون الأسرة المصرية - كما يقول الدكتور سيد عويس - " أسرة أبوية أى إن رجالها وشبابها وفتيانها هم المسئولون الحقيقيون عنها ... وأن الذكر المصرى يحمل اسم أسرته التوجيهية ، وإذا بلغ أشده وتزوج يورث اسم هذه الأسرة إلى أبنائه وبناته " [1].

ولعل تلك النظرة إلى الحفيد أن تكون وراء رغبة الأجداد خاصة فى أن يروا لأبنائهم العدد الكبير من الذرية .

❦

١ - الدكتور سيد عويس ، حديث عن المرأة المصرية المعاصرة ، ١٩٧ ، مطبعة أطلس ، ص ٢٥٣ .

أبنــاء الغيــر

يقولون عن أبناء الغير

" يا مربى فى غير ولدك يا بانى فى غير ملكك "

" احكم بطبعك وطبع غيرك لأ ، وربى ابنك وابن غيرك لأ "

" ما ينفعك إلا عجلك ابن بقرتك "

" وكّلونى وشرّبونى ودّونى عند اللى خلّفونى "

تعكس النظرة الشعبية إلى أبناء « الغير » كما تبدو فى هذه الأمثال عمق الإحساس الشعبى بالعصبية وسطوتها ، فنجدها كلها تحذر من تبديد الجهد واضاعته هباءً فى العناية بأبناء « الغير » ، وتحث الإنسان على أن ينصرف لرعاية أبنائه وحدهم لأنهم هم عدته فى معترك الحياة، ولأنهم مصدر فائدته ونفعه ، وتكشف هذه النظرة عن ارتفاع القيمة النفعية للأبناء والتى تقوم دون شك وراء دوافع الإكثار من الإنجاب .

العلاقة الوراثية بين الأبناء والآباء

يقولون :

" اللى ميطلعشى لامه وابوه منين جابوه "

" اللى فى الوالد فى المولود "

" العرق يمد لسابع جد "

" اكفى الجره على فمها تطلع البنت لامها "

" بنت الحراته دراسه "

" بنت الفاره حفاره "

" ابن الوز عوام "

" بنت لعمتها ، ولد لخاله "

" بنت المليحه فضيحه "

" يخلق من الصالح مالح ويخلق من المالح صالح "

تكشف هذه الأمثال عن الوعى الشعبى العميق بخطر عملية الوراثة ، وما تقوم به من نقل الخصائص والصفات من الآباء إلى الأبناء ، فكما أن الأبناء يعدون امتدادا واستمرارا للآباء ، ويؤكدون صيرورة الزمن بالنسبة للإنسان الشعبى ، كذلك يكون الأبناء شاهداً على صفات الآباء وسلوكهم واستمرارا لها كذلك ، إلا ما قد يحدث لهذه الظاهرة من شذوذ ، الأمر الذى يؤكد أن الحياة لا يكون لها معنى إلا بوجود الظاهرة ونقيضها معا ، فالولد يرث ويكتسب صفات والده ، وترث البنت وتكتسب صفات أمها ، بل إن العرق ليمتد حتى الجد السابع فيرث المولود صفات انحدرت إليه من أصوله البعيدة ، ويلتقى هذا المعنى مع ماورد عن رسول الله ﷺ من قوله ﴿ تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس ﴾ .

ولا يقتصر تبادل عناصر الوراثة بين الأبناء والآباء ، ولكنها قد تكون بين الأبناء وأعمامهم وأخوالهم ، ومن الجدير بالذكر هنا أن الخال يلعب دوراً بارزاً فى هذا الصدد إذ يكون عاملا

مهما من عوامل الاختيار حين يرغب الإنسان الشعبى فى أن يتزوج ويحاول انتقاء عروسه ، وهناك الكثير من التعبيرات الشعبية التى تبرز قيمة الخال مثل " الخال الطيب " ، " الخال الردى " ، " مخوله جيد " ، " مخوله ردى " .

ويحرص من يريد أن يتزوج على أن يصهر إلى خال كريم حتى يأتى أبناؤه كرامًا على شاكلة خالهم .

تبرز تلك الأمثال كما سبق القول عملية الوراثة وأهميتها فى حياة الإنسان ، وهى حين تفعل هذا فإنها تقدم للإنسان الشعبى ما يعينه على حسن اختيار شريك حياته لكى تأتى ذريته على أحسن صورة ، ويعكس هذا الأمر الاهتمام الشعبى العميق بنوع الإنسان وصفاته وعدم الوقوف عند مجرد العدد أو الكثرة يدل على هذا ما تحظى به كلمة " الأصل " من لاهتمام والاحترام ، فالأصيل والأصيلة ، وابن الأصل ، وابن الأصول تعبيرات واسعة الانتشار فى الاوساط الشعبية .

الذرية وعاقبة أفعال الآباء

يقولون :

" التقوى بتنفع الذريه "

" اللى تعمله يا فقى فى ابنك يلتقى "

" يا داوود أنا الموجود أعمل فى الدرارى عمل الجدود "

" اللى ملوش وليه غدرات الزمان جايه "

" يقعد لك فى ولاياك "

" يقعد لك فى مالك وعيالك "

وتبرز هذه الأمثال أثر سلوك الآباء الاجتماعى فى حياة أبنائهم ، فتوضح أن الابن يعد امتدادا لأبيه من الناحية الوراثية والسلوكية ، فالأبناء فى هذه الأمثلة يعدون امتداداً لسلوك آبائهم الاجتماعى ، ولا تخلو هذه النظرة من أثر دينى إذ إن الله يبارك فى الأبناء بما يفعله الآباء من خير ، وقد يجازيهم بالشر فى أبنائهم إن كان فعلهم شراً ، وتصور هذه الأمثال بشكل خاص مقدار خوف الجماعة الشعبية على مكانة المرأة وحرصها على سلامتها قبل الزواج وبعده .

وبهذا تكون هذه الأمثال بمثابة تهديد للآباء إذا ما حادوا عن طريق الخير ، كما أنها تكشف فى الوقت نفسه عن مدى حب الآباء لأبنائهم وعن مدى حرصهم على مصلحة الأبناء وسلامتهم فى حياتهم المستقبلة .

عبء الأبنـــاء

يقولون عن عبء الأبناء ، وأثرهم فى الكيان المادى للأسرة :

" مجبهومش قلب وارتاح "

" الولاد عايزين أب سعيد وأم من حديد "

" أم العيال مشلوله ولو كانت شملوله "

" من يومكم يا ولادى ما هنيلى زادى ، ولا مدغت لبانه ، ولا نمت جنب أبوكم عريانه "

" تربابة العيال زى مدغ الزلط "

" لا اللى بهم مرتاح ولا اللى بلاهم مرتاح "

" من كتر ولاده قل زاده "

" كتر الدرية بتضيع الميراث "

" قل من طيرك واطعمو وقل من ولدك واكرمو "

" واحد مكسى أحسن من عشره عريانين "

" أعز الدرية مملوكين ودريه "

تعبر هذه الأمثال عن الإحساس بعبء الأبناء على حياة الأسرة المادية والنفسية وتصور أثرهم فى كيانها ، وهى تعكس حقيقة أن الأسرة المصرية فى المجتمع الشعبى كثيرة الأبناء ، وأنها تعيش فى حالة من الضيق والفقر لا تتيح لها أن توفر لأبنائها ما يلزمهم من أسباب العيش والحياة الكريمة ، الأمر الذى يجعل من كثرتهم فى هذه الحالة عبئا ثقيلا يشق عليها النهوض بتبعاته ، ويمكن اعتبار هذه الأمثال نقداً لهذا الوضع يتبلور فى قولهم " فقر وكتر عيال " هذا القول لذى يحمل معانى الاشفاق والاستنكار وذلك لاجتماع عبئى الفقر وكثرة العيال .

وهنا يثور سؤال هو : كيف تجمع الأمثال بين الشئ ونقيضه ؟

فهى فى موضع سابق تؤكد الحرص على زيادة الذرية وهى هنا تنفى هذا الحرص بل تذهب إلى حد تحديد حجم الذرية بثلاثة !! .

وللإجابة عن هذا السؤال نقول ، ان التناقض الذى يبدو بين المضامين والمعانى التى تحملها تلك الأمثال سببه أن المأثورات الشعبية عامة ، والأمثال الشعبية على وجه الخصوص هى صياغة فنية لخلاصة تجارب حيوية متنوعة لكل منها طبيعتها وظروفها وتفردها بحيث يختلف بعضها عن بعض ، بل قد يعارض بعضها بعضًا ، ومن ثم تختلف النتائج التى تسفر عنها تلك التجارب وقد تتعارض هى الأخرى تبعًا لذلك ، تقول الدكتورة نبيلة إبراهيم : " فإذا نحن تأملنا الحياة بوصفها صنوفا شتى من المدركات والأحوال تنتهى إلى ما نسميه بالتجربة ، وعلى الرغم من أن هذه التجارب يتكرر حدوثها كل يوم فإنها تظل وحدات متنوعة ، وتظل كل تجربة تدرك فى كل مرة فى حد ذاتها كما أن قيمتها تعيش فيها وحدها ، فإذا حاولنا أن نخضع هذه التجارب لأحكام عامة ثابتة فإننا لا نستطيع أن نفعل ذلك ، ذلك أن تجاربنا فى الحياة قد تتفق فى نتائجها وقد تتناقض بعض هذه النتائج مع بعضها الآخر تماما ، وقد تعبر هذه التجارب عن النظام الكامل فى حياتنا ، وقد تعبر عن أحوال عالمنا الذى تسير فيه الأمور على غير هدى [١].

وترتيبا على هذا يمكن القول إن كل مجموعة من تلك الأمثال تكشف عن تجربة مستقلة هى فى حد ذاتها حقيقة بحيث لا تلغى إحداها ما سواها من تجارب ، وإن الرغبة فى كثرة الذرية بهدف تقوية العصبية وتأكيدها ، ولمواجهة ارتفاع معدل وفيات الأطفال ، يقولون " ما تستكترشى مالك على الزمن ، ولا عيالك على الموت " ، ولكون الأبناء هم زينة الحياة الدنيا ، وهم أدوات الإنتاج الأساسية خاصة فى المجتمع الريفى ، يمكن القول أن هذه الرغبة هى حقيقة فرضتها الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الى سادت المجتمع ، والتى عاش خلالها أفراد الشعب المصرى ، فانعكست آثارها على هذا النحو فى عدد من أمثالهم الشعبية ، كما أن الشكوى من كثرة الأبناء المصحوبة بحالة الفقر التى يعيش خلالها السواد الأعظم من الشعب ، والتى تنعكس آثارها فى عدد آخر من الأمثال الشعبية هى الأخرى تعبير حقيقى وصادق عن تجربة حياة صعبة يكابدها قطاع أو قطاعات عريضة من أبناء الشعب المصرى وتصور هذه الشكوى مدى العبء الذى يترتب على اجتماع الفقر مع كثرة العيال ، وفى

---

١ - الدكتورة نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، الطبعة الثانية ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ص ١٦٥ .

الحقيقة فان كل هذا يلقى بالضوء على ما يقوم خلف السلوك الإنجابى للمواطن المصرى الشعبى من دوافع وعوامل قوية ومختلفة ومتعارضة ، ولا يفوت الباحث أن يشير إلى أن هذه المجموعة من الأمثال التى تعالج أعباء كثرة الأبناء تصلح أن تكون مادة طيبة يمكن للعاملين فى مجال الدعوة لتنظيم الأسرة الاستعانة بها ، باعادة توجيهها وترديدها من خلال أدوات الاتصال المختلفة إلى القطاعات الشعبية التى تستهدفها رسائلهم الإعلامية ، فهى انعكاس صادق وحى لواقع يعيشه أبناء الشعب وهى تعبير هذه القطاعات الشعبية عن هذا الواقع فهى إذا منهم وإليهم .

الخصـــوبة

يقولون عن المرأة الولود :

" ياما الولاده بتجيب "

" طول ما الولاده بتولد مفيش على ضهر الدنيا شاطر "

" ما جبتوش ولاده "

" زرايبى "

" الواحد يقول لها صباح الخير تحبل ، عواف تولد "

" ملت السعر والوعر "

" ملت الدنيا والآخره "

" عامله زى الأرنبه "

" عامله زى البقه تجيب ميه وتقول يا قلة الدريه "

" حبله ومرضعه ، وجاره أربعه ، وطالعه الجبل تدور على دوه للحبل ، وتقول يا قلة الدرية"

" الولاده بتولد والدور على المعيشه "

" الولاده بتولد والدور على السعادة "

" مش يا بخت من ولدت ، يا بخت من سعدت "

" اللى ما يغليهاش جلدها ما يغليهاش ولدها "

تصور هذه الأمثال نظرتهم إلى الخصوبة ، ويتضح من خلالها ، أنهم يقدرون الخصوبة أعظم التقدير ، وأنهم يعلون من شأن المرأة المنجبة كما يتضح منها أنهم ينتقدون الإفراط فى عملية الحمل والولادة إذ يسخرون من المرأة التى تسرف فى الحمل والولادة ويشبهونها بالحيوانات والحشرات المعروفة بالإفراط فى الإنجاب ، وربما حملت هذه الأقوال بعض آثار الغيرة والحسد .

كما يظهر من هذه الأمثال أنهم يرون أن مجرد الإنجاب لا يحقق للمرأة وللأسرة السعادة والحياة الهنيئة المستقرة ، وأنه ينبغى أن يتوفر للمرأة فى ذاتها من الصفات والمزايا ما يجعلها تحظى بالمكانة اللائقة فى بيت زوجها .

ويمكن القول إن هذه الأمثال تصلح مادة يستفيد منها العاملون فى حقل الدعوة إلى تنظيم الأسرة إذا ما وضعوها فى رسائلهم الإعلامية التى يوجهونها إلى القطاعات الشعبية المشهورة بالإفراط فى الإنجاب .

العقـــــم

يعد العقم شراً مستطيراً فى نظر الطبقات الشعبية ، وأوجع سبه توجه للزوجة التى لاتنجب أن يقال لها يا « عاقر » ، وهم يقولون لمن لا تحمل :

" معصَّيه "

" مليِّسه "

" ساده "

" مدكَّره "

" المره اللى ما بتخلفش زى السجره اللى ما بتطرحش دواها قلعها "

ويصور هذا القول الأخير موقفهم من المرأة غير المنجبة خير تصوير ، فهى فى نظرهم غير جديرة بالحياة الزوجية ، وتستحق أن تقتلع منها ، ويدل هذا على صدق ما سبق قوله من أن مقوم المرأة فى نظرهم هو قدرتها على الحمل والإنجاب ، فهم يقبلون أن تكون المرأة دميمة أو فقيرة مادامت قادرة على أن تحمل وتلد فيقولون " أهى حلوه مش حتجيب اللى يوحد الله ؟" ، لكنهم لا يقبلون أن تكون عقيما .

ولهذا يعد العقم نازلة ترتعد المرأة من هولها ، وتحاول بكل السبل النجاة منها ، فتلجأ إلى ضروب من الممارسات الشعبية تستجلب بها الحمل ، ويلاحظ أن هذه الممارسات من الكثرة والتنوع والانتشار بصورة كبيرة تعكس بوضوح مدى الحرص الشعبى على توفير أسباب الخصوبة ، وإزالة أسباب العقم لتمكين الأنثى من أن تنجب [1].

---

١ - هناك الكثير من الممارسات الخاصة بطلب الحمل ، بعضها يتصل بالطب الشعبى أو ما يعرف بالوصفات البلدية ، وبعضها يتصل بأعمال السحر وبعضها الآخر يتصل بآثار فرعونية وأضرحة ، وأحجار متفرقة فى أرجاء المحافظة ، وقد تخير الدارس من هذه الممارسات النماذج التالية

أولا : **الوصفات البلدية** : من أشهر الوصفات البلدية لحالة عدم الحمل « الصوفة » . وهى عبارة عن «خلطة » تصنعها أو تصفها فى العادة واحدة أو واحد ممن اشتهروا بعمل الوصفات البلدية .

وفيما يلى نماذج للوصفات الخاصة بـ « الصوفة »

" قشر بصل ، قشر توم ، دندان عبل ، حلبه حصي ، زيت ، تخلط وتوضع فوق النار وتقلب حتى يغلظ قوامها ، فترفع عن النار وتترك لتبرد ، ثم تقطع قطعًا صغيرة تشكل على هيئة كريات ، وتلف بقطع من الشاش ويجرى استعمالها بأن « تلبس » بعد العادة الشهرية " . { فتحية منسى ، داية ، الجديدة ، مركز منيا القمح } . =

. . . .

= " لقح نخل ، عجوة بلح ، يخلط اللقاح بالعجوة ثم تقطع كريات صغيرة تلف فى قطع من الشاش وتلبس بعد الجماع " .

" مستكة ، حبهان ، حبة البركة ، ماء ورد ، فص توم ، تخلط وتوضع فى زيت زيتون ثم تلف فى قطعة من صوف خروف وتلبس بعد العادة " { فايزة عثمان بركات ، ست بيت ، القرين مركز أبو حماد } .

يلاحظ فى هذه الوصفة استعمال الصوف ولعل فى هذا ما يفسر تسميه الوصفة " الصوفة " ويلاحظ أن هذا النوع من الصوفة تصفه المرأة التى تحترف هذا العمل على أن تقوم من تحتاج إليه بعمله ، وهناك نوع آخر من " الصوفة " تقوم " المحترفة " بعمله بنفسها ولقد التقى الباحث بواحدة من المحترفات وحاول أن يعرف منها كيفية عمل هذا النوع من " الصوفة " ولكنها راوغت ولم تبح بسر العملية وكل ما قالته هو أنها تحدد موعداً معينا للمرأة يقع عادة بعد انتهاء الدورة الشهرية تحضر إليها فيه وتقوم هى بصنع " الصوفة " وتلبسها إياها"، ثم تقوم بعد ذلك باستخراجها فى موعد آخر تحدده هى { ناعسه محمد حسان ، بدوية تقيم فى الشبراوين مركز ههيا وتحترف علاج حالات العقم } .

ومما يسترعى النظر فى شأن هذا النوع من " الصوفة " ، أن هناك نوعًا من عدم التقبل له من النسوة ، وأن بعض النساء يقولن أنه حرام ويحذرن من استعماله ، ويلاحظ أن الفلاحين يمارسون علاج العقم فى حيواناتهم بوصفات يدخل فيها الصوف أو القطن وقد تيسر للباحث أن يشاهد واحدة من هذه العمليات وكانت على النحو التالى:

تم وضع قدر من لقاح ذكر البقر فى قطعة من الصوف ثم أدخلوها فى العضو الجنسى للبقرة ، وتسمى هذه العملية بـ " الطعمة " .

وعلى هذا فإن الباحث يرجح أن تكون عملية " الصوفة " فى نوعها الأخير الذى تقوم به " المحترفة " هو عبارة عن تلقيح صناعى تقوم به " المحترفة " وأن هذا الأمر هو الذى يجعل من هذه الوصفة موضعا للشك والريبة .

ومن الوصفات البلدية الخاصة باستجلاب الحمل " الليمون " .

يصفون حالة المرأة التى لا تحمل بأن " بيت الولد عندها قرفان " ، بناء على هذا يصفون لها العلاج " فص لمون " يوضع فى بيت الولد .

ويلاحظ فى هذه الحالة أنهم يشخصون الرحم المعروف عندهم بـ " بيت الولد " فكأنه شخص أصيب بحالة " القرف " ، ومن المعروف أن من اعراض " القرف " الغثيان والقئ الذى يتسبب فى قذف ما فى الجوف ، وعلاج هذه الحالة هو " مص الليمون " ، حتى تسكن المعدة وتستقر وتحتفظ بمحتواها ، فقرف " بيت الولد " يعنى عندهم عدم استقرار " النطفة " فيه وقذفه إياها ، فيكون العلاج " فص الليمون " حتى يستقر ويتقبل ما يلقى فيه . ويلاحظ هنا الاعتقاد الشعبى فى التماثل بين الأشياء والأحوال .

ومن الوصفات الخاصة باستجلاب الحمل " الطربه " ، ويسترعى الانتباه أن " الطربه " أو " الخضه " هى من أسباب العقم أو " العاقه " ويلاحظ أنهم يستعملون كلمة " العاقه " ولا يتسعملون كلمة " العقم " و " العاقه " تعنى العائق العارض الذى يعوق الشئ والذى يمكن ازالته ويدل استعماله على نظرتهم المتفائلة والتى تأمل فى إزالة هذا العائق وجريان وتدفق الخصوبة ، وهم يقولون " الطربه بتفك العاقة فكأن " الطربه " هى الداء وهى الدواء فى وقت واحد ، ويسترعى الانتباه أنهم يركزون فى حالة عدم الانجاب على المرأة ، ولا يتجهون إلى الرجل إلابعد محاولات كثيرة مع المرأة فالرجل يجد حرجا كبيراً فى أن يعترف بأنه عقيم ، وهم يقولون عن الرجل الذى لا ينجب .

. . . .

= " مفهشي خلف "

" ميته رايقه "

وهناك ممارسات خاصة بعلاج حالات العقم عند الرجال والتى يلاحظ أن معظمها يتصل بـ " الطربه " ذلك أن الرجال هم أكثر عرضة لحالة " الطربة " من النساء بسبب طبيعة عمل الرجل وما يحتمه عليه ذلك العمل من الخروج بالليل احيانا وهم يرجعون حالة العقم عند الرجل إلى ما يصيبه من " الطربه " بسبب ظهور الجان أو العفاريت له ولهذا فالعلاج " بالطربه " يتصل بالرجال أكثر مما يتصل بالنساء ومن أمثلة هذا العلاج أنهم " يأخذون الواحد أو الواحدة إلى المقابر بحجة ما ويتخيرون قبراً مهجوراً ويغرونه بالنزول إليه ثم يفاجئونه بصرخة يطلقونها من خلفه أو حجر يلقونه إلى جواره ، كما أنهم يعمدون إلى إيقاظ الواحد أو الواحدة من نومه فجأة ويخبرونه خبراً مؤلما كأن يخبروه بموت عزيز لديه أو بفقد شئ ثمين وقد يطلقون إلى جواره طلقا ناريا بغتة ، وكانوا يذهبون بالواحد أو الواحدة ويجعلونه ينام بين قضيبى السكة الحديد ليعبر القطار من فوقه كل هذا حتى يصاب بـ " الطربة " فتنفك عاقته .

ويلاحظ هنا الاعتقاد الشعبى فى تبادل التأثير بين الحالات النفسية والجسدية ، وهناك وصفات مادية لعلاج أثر " الطربة " منها

" عرق انطراب ، حبه سمره ، فلفل أبيض ، عسل نحل ، عيش رحالى من غير ملح يأكل كل هذا مدة خمسة عشر يومًا " . { صابرين عبده محمد عبد العليم ، فلاحه ، صان الحجر مركز الحسنية } .

" عود انطراب ، عود قرح ، خميرة عرب ، تخلط وتطحن ، ثم تقسم ثلاثة أقسام يأخذ ثلثها ويوضع فى " زبدية حمراء " جديدة ثم تحلب عليه كمية من لبن بقرة حمراء ويقلب الخليط ثم " يبيت " تحت النجم ، ويجرى تناوله فى الصباح الباكر " على الريق " تكرر العملية ثلاثة مرات " { عزيزة محمد على خاطر ، عجوز، القرين مركز أبو حماد .

ويلاحظ فى هذه الوصفات العلاج بـ " عود لانطراب " كما يلاحظ الاعتقاد فى تأثير النجوم ، وتكرار الفعل " ثلاث مرات " ذلك أن هذه الأمور من عناصر المعتقدات الشعبية والممارسات الشعبية .

ومن الصفات الخاصة بإزالة العقم والمتصلة بالرجل " أكل احليل الثور " يحصلون عليه من " الجزار " ويقومون بتقطيعه وطبخه ثم يتناوله الرجل على الريق { عزيزة محمد على خاطر ، عجوز ، القرين مركز أبو حماد } .

ويسترعى الانتباه فى هذه الوصفة أنها تقوم على أساس سد النقص لدى الرجل من خلال الاستعانة بالعضو الجنسى للثور الذى يضرب به المثل عادة فى القوة الجنسية والخصوبة ويعكس هذا الفعل الاعتقاد الشعبى فى أن قوة شئ ما يمكن أن تنتقل إلى مثيله أو شبيهه يقول سير جيمس فريزر " ولقد كان الأغريق يعتقدون أن أكل لحم " عصفور الليل " أو " القبرة الساهرة " كفيل بطرد النوم عن الشخص وأن تكحيل عينى الشخص الأعشى بمرارة الصقر تزيد فى قوة ابصاره وحدته " { سير جيمس فريزر ، الغصن الذهبى ، =

. . . .

= الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ ، ص ١٦٥ } .

ثانيا - الوصفات ذات الطابع السحرى :

" تخطية سبع حدود "

تقوم " المتعوقه " بتخطية سبع حدود تفصل بين سبع حقول { مبروكة حسن على ، عجوز ، الهوابر مركز ديرب نجم } وتقوم هذه الممارسة على أساس الاعتقاد فى التماثل وتبادل التأثير بين الأشياء والأحوال فـ " المتعوقة " تعيش حبيسة حالة " العاقة " وخلف سورها ، فإذا ما عقدت مماثلة بين حالتها وبين حالة منطقة من الأرض محدودة بحد يعزلها ويفصلها وتكون تلك المنطقة معادلا لحالتها وتجسيداً ماديًا لها ثم تقوم بالخروج منها وذلك بتخطى سورها " حدها " سبع مرات فكأنها خرجت من عاقتها التى كانت محبوسة داخلها .

" الكفن والخيط "

" يأتون بخيط رفيع بقدر " مقاس " " المتعوقة " بالطول من ضفرها لشوشتها ، وبقدر " مقاس " خصرها ثم يخيطونه فى " كفن " ميته ويدفن معها ، فتحمل " المتعوقة " { نجية عبد العزيز السطوحى ، عجوز ، شيبة النكارية مركز الزقازيق } .

ويمكن تفسير هذه الممارسة على أنها عملية " ميلاد جديد " ، فالخيط بـ " طول المتعوقة وعرضها " هو بديل لها وهو يمثلها ، وحين يخاط فى " الكفن " ويدفن معها فكأنما دفنت " المتعوقة " ، وأما تلك التى بقيت بعد ذلك فهى امرأة أخرى كأنما وجدت من جديد بدون " عاقة " .

ثالثا : الممارسات المرتبطة بالآثار الفرعونية والأضرحة ، والأحجار

" الممارسات المرتبطة بفرعون تل بسطة "

فرعون الذى ترتبط به هذه الممارسة هو عبارة عن تمثال جرانيتى لرجل وامرأة يقفان متجاورين وسط بقايا الآثار المحطمة بمنطقة تل بسطة { بوبسطة أو تل بسطة عن الأصل القديم برباستة ، وكانت باستة معبودة رمز أصحابها إليها بهيئة القطة ونسبوا اسمها إلى مدينتهم " باست " فأصبح " باستة " ، ثم عادوا وأطلقوا هذا الاسم الأخير على المدينة ، انظر الدكتور عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، جـ ١ ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٦٢ ، ص ٣٩ } بمدينة الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية ، ويتناثر من حول التمثال حطام الأباريق السوداء .

" الطقس الذى يمارس عند فرعون "

تذهب الواحدة إلى هناك عقب العادة الشهرية ، وتصحبها عادة أخريات ومعها ابريق أسود مملؤ بالماء وملاءة من القماش ، فتقوم رفيقاتها بنشر الملاءة وسترها حيث تخلع ملابسها ثم تقوم باحتضان التمثال ملامسة بفرجها جزءا بارزاً منه ، وتقوم بعد ذلك بسكب ماء الابريق فوق رأسها وجسدها ، ثم ترمى بالابريق ليتهشم على جسد التمثال " { عبد الكريم الشاذلى عيسى ، بائع فول ، السبخة ، مدينة الزقازيق ؛ توحيده أحمد ، ست بيت ، السبخة ، مدينة الزقازيق ؛ عبد الله على شايش ، سمكرى ، قسم ثان ، النحال ، مدينة الزقازيق .

. . . .

= " حكاية فرعون والمعتقد القائم وراء الممارسة "

يقولون " كانت تل بسطة فى الزمن القديم مدينة كبيرة عامرة بالناس ، وكان من بين أهلها فتى وفتاة أحب كل منهما الآخر ، وحدث أن جرى بينهما اتصال جنسى غير مشروع حملت الفتاة على أثره وخلال احد لقاءاتهما سخط الله المدينة فانسخط الفتى والفتاة على الوضع الذى كانا عليه معتنقين ، وهكذا صار التمثال مقصد الباحثات عن الحمل { توحيده أحمد ، ست بيت ، السبخة ، مدينة الزقازيق }

ويلاحظ وجه الشبه بين هذه الحكاية وحكاية " أساف ونائلة " من أصنام الكعبة التى كانت موضع تقديس العرب فى الجاهلية " فحدث الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، أن اسافا ونائلة ... رجل من جرهم يقال له أساف بن يعلى ، ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقها فى أرض اليمن ، فأقبلوا حجاجا ، فدخلا الكعبة فوجدوا غفلة من الناس وخلوة في البيت ، ففجر بها فى البيت ، فمسخا فأصبحوا فوجدوهما مسخين ، فأخرجوهما ووضعوهما موضعهما ، فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب . { انظر كتاب الأصنام ، عن أبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، تحقيق الأستاذ احمد زكى ، نشر الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٥ } .

ويسترعى الانتباه فى هذه الممارسة ارتباطها بأثر فرعونى ، وأنها توشك أن تكون عملية اتصال جنسى بالتمثال يجرى عقب انتهاء العادة الشهرية ، أى فى الوقت الذى يعتقد العامة أن المرأة تكون فيه أكثر استعدادا للحمل ، فهى تحتضن التمثال ثم تغتسل وكأنها تتطهر من الجنابة .

ويمكن النظر إلى هذه الممارسة على أنها من بقايا الممارسات القديمة التي كانت ترتبط بإله الإخصاب عند قدماء المصريين ، كما يمكن النظر إليها على ضوء الحكاية التى تحكى عن التمثال ، فالتمثال فى هذه الحكاية هو تجسيد مادى لعملية إخصاب قديمة مسخ طرفاها ويلاحظ أن عملية المسخ قد أكسبت أسافا ونائلة قداسة فى نظر عرب الجاهلية ، ومن هذا يمكن اعتبار التمثال مستودعا لقوة اخصاب قديمة بالغة التأثير ، فإذا ما تم الاتصال بها على هذا النحو وطبقا للاعتقاد الشعبى فى التماثل بين الوقائع والأحداث وتبادل التأثير بين الموجودات فإنه يمكن الحصول على ذات النتيجة ويتفق هذا مع ما قاله السير جيمس فريزر عن سحر المحاكاة أو السحر التشاكلى . { انظر السير جيمس فريزر ، الغصن الذهبى ، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ } .

" الممارسات المرتبطة بـ « بنت حكمون » "

" بنت حكمون " هى عبارة عن تمثال فرعونى ضخم من الحجر الرملى ملقى على الأرض تتناثر من حوله " شقافة " أباريق سوداء ، بمنطقة صان الحجر الأثرية بقرية صان الحجر مركز الحسينية . وقد أفاد الأستاذ سعيد الصاوى مفتش آثار شمال الشرقية أن التمثال الذى يطلق عليه العامة " بنت حكمون " هو لرمسيس الثانى ، وقد جاء فى كتاب الدكتور عبد العزيز صالح حضارة مصر القديمة وآثارها ، الجزء الأول ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١١٩٦٢ ص ٤٠ عن صان الحجر " صان الحجر عن الأصل القديم " جعن " فى النصوص القديمة وجانى في النصوص النبطية ، ولو أن النصوص الآشورية ذكرتها بالصاد فكتبتها " صانو " مثل نطقها الحالى . =

. . . .

= " الطقس الذى يمارس عند « بنت حكمون » "

تذهب الواحدة إلى هناك مصحوبة بواحدة أو أكثر من ذويها تقودها واحدة من أهالى قرية صان الحجر العارفات بالطقوس التى تمارس عند " بنت حكمون " ويكون معها أبريق أسود جديد وملاءة من القماش .

تنزل إلى بئر أثرى قديم يقع بالقرب من التمثال بناءً على توجيه المرشدة التى تقودها ، وتملأ الأبريق من مائه الضحل وخلال قيامها بهذا تقوم المرشدة بإلقاء حجر ضخم فى ماء البئر فجأة بحيث تصاب بالرعب " تنطرب " ، ثم تصعد بعد ذلك من جوف البئر تحمل الأبريق وقد امتلأ بالماء فتذهب إلى تمثال " بنت حكمون " حيث تخلع ملابسها تسترها مرافقاتها بالملاءة ، وتصعد عارية لتركب التمثال الضخم الملقى على ظهره مدلية ساقيها على جانبيه وبحيث يلامس فرجها سرة التمثال وهى غائرة واضحة الاستدارة ثم تقوم بسكب الماء من الأبريق فوق رأسها ، وتلقى به بعد أن يفرغ من خلف ظهرها ثم تنزل من على التمثال فترتدى ثيابها وتغادر المكان . { زكية على نصر الدين ، داية صان الحجر ، مركز الحسينية ، كوثر أمين ، عاملة بالمنطقة الأثرية بصان الحجر ، أمينة حسنين ، عاملة بالمنطقة الأثرية بصان الحجر } .

" حكاية بنت حكمون "

" يقولون إنه كان يعيش بهذه المنطقة فى الزمن القديم ملك عظيم يسمى " حكمون " ، وكان يحكم على عدد من الملوك ، وكانت له ابنة وحيدة رائعة الجمال ، أقام لها قصراً خاصا بها وأحاطها بالوصيفات والخادمات ، وحرم على جنس الرجال دخول هذا القصر أو رؤية ابنته .

وحدث أن تقدم إليه أحد الملوك الخاضعين لحكمه يطلب منه أن يزوجه ابنته ، فرده رداً مهينا . وكان من عادة الملك حكمون أن يذهب لزيارة ابنته فى قصرها مرتين فى السنة ، وفى إحدى زياراته اكتشف أن ابنته حامل فاعتراه الفزع والغضب ، واستدعى مستشاريه ووزراءه وسحرته وسألهم كيف حدث ذلك لابنته وهى لاترى أحداً من الرجال ولا تعرف سوى النساء ؟ .

فأعملوا فكرهم ، ثم اشاروا بسؤال الأميرة عن الأمر فربما كان لديها ما يساعدهم على معرفة حقيقة ماحدث ، فوافق الملك " حكمون " وذهبوا إلى الأميرة وطلبوا إليها أن تحدثهم بأمرها ، فأخبرتهم أنها بعد أن تنام ترى نفسها فى مكان آخر وسط أناس آخرين لا تعرفهم ، وحين تستيقظ تجد نفسها فى قصرها ووسط وصيفاتها وخادماتها ، فأدرك السحرة والكهنة أن فى الأمر أعمالا سحرية ، وطلبوا إلى الأميرة أن تحضر معها أى أثر من ذلك المكان الغريب الذى ترى نفسها فيه أثناء الليل . وحققت الأميرة طلبهم ، فحين رأت نفسها فى ذلك المكان الغريب الذى لا تعرفه أخذت منه حفنة من الرمال وخبأتها ، وحين حضر إليها والدها فى الصباح ومعه سحرته وكهنته اعطتهم الرمال التى أحضرتها فأخذوها واجروا عليها سحرهم ، فتكشف لهم أن الملك الذى كان قد تقدم لخطبة الأميرة ورده أبوها رداً مهينا قد أثاره احتقار الملك " حكمون " لشأنه فلجأ إلى سحرته فأعملوا سحرهم بحيث صاروا يستحضرون الأميرة إليه ليلا من قصرها إلى قصره فيقضى معها الليل وقبل أن يصبح الصباح يعيدونها بسحرهم إلى فراشها فى قصرها وهكذا .=

. . . .

= وما أن عرف الملك " حكمون " هذا حتى جن جنونه وصاح كيف لتابع من اتباعى أن يفعل بى ذلك ، وأمر بالبحر فقطع شاطؤه فأغرق مملكة ذلك التابع الأثيم .

وأما الأميرة فقد " انسخطت " بحملها ومن يومها والناس يعتقدون فيها ويؤمنون بأنه مادامت " بنت حكمون " قد حملت دون زواج ودون أن تدرى فلابد أن تكون قدرتها فائقة فى الإخصاب ومن ثم فإن من يتصل بها تنتقل إليه هذه القدرة . { روى هذه الحكاية : أحمد الفقى ، خفير آثار بمنطقة صان الحجر مركز الحسينية } .

ويلاحظ فى الممارسات المرتبطة بـ " بنت حكمون " أنها تماثل الممارسات المرتبطة بفرعون " تل بسطة " ، كما يلاحظ أن الحكاية التى تحكى فى منطقة صان الحجر عن " بنت حكمون " تدور حولها الكثير من الحكايات الخرافية وهو حجز الفتاة فى قصر معزول ، ومن الواضح أن واقعة حمل الأميرة على ذلك النحو الغريب هى السر وراء الممارسة المرتبطة بـ " بنت حكمون " كما تحاول الحكاية الخرافية أن تفسر هذا الأمر فمادامت الأميرة قد حملت على ذلك النحو الغامض فإنه يمكن للأخرى أن تحمل كذلك وفقا للاعتقاد الشعبى فى التماثل والمحاكاة .

على أن ما يسترعى الانتباه فى هذه الممارسة أنها تتم فى الواقع مع تمثال لذكر هو " رمسيس الثانى " ولا تتم مع تمثال لأنثى تمثل " بنت حكمون " مما يرجح أن تكون هذه الممارسة من بقايا الممارسات الفرعونية القديمة المرتبطة بآلهة الإخصاب ، وأن الحكاية التي تحكى عن " بنت حكمون " قد ألفت لتفسير الممارسة بعد أن تقادم العهد بأصلها وعلى أية حال فإن الحكاية تكشف بوضوح عن مدى انشغال الشعب عن موضوع الإنجاب.

" الممارسات المرتبطة بـ " حجر سعدون "

" حجر سعدون " هو عبارة عن حجر جرانيتى مطمور فى الرمال ، لايظهر منه سوى جزء صغير مغطى ببقايا الأباريق السوداء الفخارية وهو يوجد بمنطقة " سعدون " على مقربة من مقام " سيدى سعدون السطوحى" بمدينة بلبيس { انظر كتاب عبده حسن المرشدى ، النفحات الأحمدية والجواهر الصمدانية ، الطبعة الأولى ، ١٣٢١ هـ ، ص ٢٧٧ ، الباب السابع فى ذكر من تشرف بصحبة - السيد أحمد البدوى - فى حال حياته ، ومنهم الشيخ سعدون المدفون بمدفنه بناحية بلبيس } ، وتشتهر المنطقة برمالها الصفراء وشمسها ويأتى إليها الناس من البلاد المجاورة للاستشفاء من الروماتيزم .

" الطقس الذى يمارس عند " حجر سعدون "

تذهب الواحدة إلى هناك تصحبها واحدة أو أكثر ، ومعها إبريق أسود جديد مملوء بالماء وملاءة من القماش، تقف فوق الحجر وقد تجردت من ملابسها تسترها رفيقاتها بالملاءة ، ثم تسكب ماء الأبريق فوق رأسها ثم تلقى به من خلف ليتكسر فوق الحجر ، وإذا تصادف مجيئها فى موسم الاستشفاء " يونيو ويوليو " فى الليالى القمرية ، أحاط بها الحضور من النسوة وغنين لها الأغنية التالية : - =

. . . .

= " حبلها يا شيخ سعدون "

حبلها تجيب زغلول

حبلها يا شيخ طيار

حبلها تجيب مخطار "

وهن يصفقن فى إيقاع سريع . { خادمة سيدى " سعدون " وقد رفضت ذكر اسمها }

" حكاية " حجر سعدون "

يقولون إنه حجر قديم جداً ، وإن الله جعله سببا " لفك عاقة المتعوقة " ، وقال بعضهم أنه " حجر كفرى " وهى صفة يطلقونها على المخلفات الأثرية الفرعونية ، وقال آخرون " أن الحجر يحيض كل شهر مثل المرأة تماما" { خادمة سيدى " سعدون " السابق ذكرها - أمين على مسعود ، فخرانى مدينة بلبيس } .

ويلاحظ فى الممارسات المرتبطة بـ " حجر سعدون " أنها تشترك مع الممارسات السابقة المرتبطة بفرعون " تل بسطة " ، و " بنت حكمون " فى الاغتسال دون الاحتكاك والملامسة ، وأنها تجمع بين الحجر والشيخ " سعدون " مع أنهما منفصلان فى الواقع ، وأن الأغنية التى تصاحب الممارسة أحيانا تتوجه إلى الشيخ " سعدون " حبلها يا شيخ سعدون .

ويمكن الافتراض أن الحجر والممارسات المرتبطة به مستقل عن الشيخ " سعدون " وربما كان سابقا عليه ، ذلك أن مثل هذا الحجر موجود فى أماكن أخرى ، وأما اتصال الشيخ " سعدون " بالممارسة فليس بمستغرب ذلك أن التوسل بالأولياء وزيارة القبور والأضرحة لقضاء الحاجات وشفاء الأمراض من الأمور المألوفة لدى الطبقات الشعبية المصرية ، كما يمكن الافتراض أن تجاور الحجر والشيخ « سعدون » قد ربط بينهما على هذا النحو بحيث عرف الحجر باسم الشيخ ، وربما جاز القول أن هذا الحجر وأمثاله عبارة عن بقايا من شواهد القبور القديمة ومن ثم فهو يأخذ قيمته من دفين فى المكان الذى يوجد فيه ، ولا يستبعد أن يكون الحجر من مخلفات أثرية قديمة ، ويسترعى الانتباه فى أمر حجر « سعدون » أن العامة ينسبون إليه عادة « الحيض الدورى » كل شهر وهم بذلك يخلعون عليه صفات الحياة والخصوبة ولعلهم بهذا يحاولون تعليل الممارسات التى يمارسونها والتى ترتبط بالحجر .

" الممارسات المرتبطة بـ " حجر عايديه "

" حجر عايديه " هو حجر جرانيتى غائر فى الأرض لا يظهر منه سوى جزء صغير مغطى ببقايا الأباريق الفخارية السوداء ، وقطع من ملابس قديمة ملوثة ، ويقع وسط الحقول فى منطقة تعرف بأرض عايديه تتاخم بلبيس . { قال الرواية محمود عشم المنسى ، فلاح من مدينة بلبيس ، أن " عايديه " لقب عائلة كانت تملك الأرض التى يوجد فيها الحجر ، حجر عايديه } .=

. . . .

" الطقس الذى يمارس عند " حجر عايديه "

تذهب الواحدة إلى هناك تصحبها رفيقاتها ومعها أبريق مملوء بالماء وملاءة وذلك فى اليوم الأخير من أيام دورتها الشهرية ، فتخلع ملابسها وتقف فوق الحجر تحيطها رفيقاتها بالملاءة ثم تسكب ماء الأبريق على رأسها وجسدها ، وتلقى بالأبريق الفارغ من خلفها ، ثم ترتدى ملابسها دون أن تجفف جسدها وتعود إلى بيتها ، وهم يعتقدون أنها إن التقت بزوجها فى ليلتها فإنها تحمل { مسرات محمد عبد العواض ، مدرسة بمدرسة بلبيس الثانوية للبنات ، محمود عشم المنسى ، فلاح مدينة بلبيس ، أمين على مسعود ، فخرانى مدينة بلبيس } .

" حكاية حجر « عايديه » "

يقولون إنه حجر قديم جداً لا يعرف أحد أصله ، وقد عرفه الأجداد واعتقدوا فيه ، وأنه مبروك وأن فيه سراً لا يعلمه أحد ، ويقال أن أحدهم حاول استخراجه من مكانه ونقله إلى مكان آخر عنده بقصد استغلاله لأغراضه الخاصة لكنه كان كلما حفر من حوله غاص فى باطن الأرض فلما يئس من استخراجه عمل على طمره فأخذ يهيل فوقه التراب لكن الحجر كان يرتفع بارزاً من بين التراب فرجع عنه ، كما يقال إنه يحيض كل شهر مثل المرأة فيصطبغ باللون الأحمر { الرواة السابق ذكرهم } .

ويلاحظ فى أمر " حجر عايديه " والممارسات المرتبطة به ما يلى :

- أن الممارسات المرتبطة به تماثل الممارسات المرتبطة بحجر " سعدون "
- أنه يشترك مع حجر " سعدون " فى كونه يحيض كل شهر كما يعتقد العامة
- أنه يوجد بمدينة بلبيس حيث يوجد حجر " سعدون " ، وتعكس ظاهرة وجود الحجرين على هذا النحو فى مكان واحد تقريبا ، تعكس انشغال العامة بأمر العقم والخصوبة وسعيهم الدائب وراء الأسباب التى يعتقدون أنها تحقق لهم آمالهم حتى ولو كانت مكررة ومعادة .

" الممارسات المرتبطة بالشيخ الحجر "

" الشيخ الحجر " هو عبارة عن كومة من حطام الأباريق الفخارية السوداء فوق جزء من قطعة من الأرض بدغل من نبات " البرنوف " يغطى مساحة من الأرض تتوسط أحد الحقول بعزبة يعقوب التابعة لقرية طاروط مركز الزقازيق .

" الممارسات التى تجرى عند " الشيخ الحجر "

تذهب الواحدة منهن إلى هناك عقب العادة الشهرية برفقة واحدة أو أكثر من أهلها ، ومعها أبريق أسود جديد مملوء بالماء ، وكمية من الحلوى والفطائر ، تخلع ملابسها وتقف فوق حطام الأباريق ثم تسكب ماء=

. . . .

= الأبريق الذى تحمله فوق رأسها وتلقى به من خلفها ، ثم ترتدى ملابسها وتضع ما أحضرته من حلوى وفطائر وتغادر المكان وهى تردد " شلاه ياسيدى الحجر السنه دى جيتك زايره ، السنه الجايه اجيك شايله "

ويقولون إذا انكسر الأبريق بعد سقوطه على الأرض فإن ذلك يعتبر علامة على أن الله قد أراد لصاحبته أن تحمل ، وإن لم ينكسر كان ذلك دلالة على أن الأوان لم يئن بعد [زينه كيلانى عفيفى ، فلاحة ، صفطية مركز الزقازيق] .

" حكاية الشيخ حجر "

يقول الناس إن " الشيخ حجر " قديم وقد عرفه الآباء والأجداد ، وإن الفلاح الذى يقع فى حقله قد ضاق به ذات مرة بسبب الضرر الذى يصيب زراعته من جراء تردد النسوة عليه فاقتلعه من مكانه ونقله إلى منزله حيث وضعه خلف بابه الذى يحكم اغلاقه ، وفى الصباح اكتشف اختفاء الحجر من مكانه فلما ذهب إلى حقله وجد أن الحجر قد عاد إلى موضعه الذى كان فيه . [عليه السيد ، فلاحة ، صفطية مركز الزقازيق] .

ويقولون إنه حين يزداد منسوب الماء الجارى فى الترعة التى تمر بالقرب منه فيفيض ويوشك أن يغمره ينتقل الحجر بذاته إلى مكان بعيد ، وحين يهبط منسوب المياه يعود إلى مكانه الأصلى [روحيه على حسن ، فلاحه صفطيجه مركز الزقازيق] كما يقال أن قطعة الأرض التى يوجد بها الحجر " مرصودة " لا يستطيع أحد أن يقربها بفأس أو محراث وأنه قد حدث يوم أن حاول أحد الأهالى زراعة تلك الأرض فلما هوى عليها بفأسه انكسرت الفأس ولما حاول أن يحرثها بالمحراث انكسر المحراث وأصيبت المواشى ، ومن يومها تركت الأرض صيانة لحرمة " الشيخ الحجر " على الرغم مما تمثله من خسارة لصاحبها وما يسببه وجوده فيها من اتلاف للزراعة المحيطة به [خديجة غنيمى مصطفى ، فلاحة ، بهجات مركز الزقازيق] .

ولقد لاحظ الباحث عدم وجود الحجر الذى تدور حوله الممارسات والروايات ، وأن كل ما هو موجود بالمكان عبارة عن بقايا الأباريق الفخارية السوداء ، ولقد افادت إحدى الروايات بأن الحجر الذى كان قائماً فى المكان قد جرى تحطيمه وإلقاء بقاياه فى المصرف الذى يمر بالقرب من المكان وذلك بواسطة تلاميذ المدارس من أبناء المنطقة واوضحت بأنه يوجد فى المكان " ولى مدفون " منذ زمن بعيد وأن ذلك الحجر كان شاهداً على القبر الخاص بذلك الولى [خديجة عنيمى مصطفى ، فلاحة ، بهجات مركز الزقازيق] .

ولعل فى هذه الرواية ما يلقى الضوء على حقيقة تقديس الأحجار ، فهذه الأحجار ربما كانت شواهد قائمة على قبور بعض الموتى الذين اعتقد فيهم العامة ، وتوجهوا إليهم بممارستهم ، وبمرور الزمن درست القبور وبقيت الأحجار ، وظل العامة يتوجهون إليها بممارساتهم باعتبارها رموزا تمثل الموتى القابعين فى باطن الأرض والذين نسيهم الناس بمرور الزمن .

ويلاحظ فى الممارسات المرتبطة " بالشيخ الحجر " أنها تماثل الممارسات المرتبطة " بحجر سعدون " و " حجر عابديه " إلا فيما يتصل بحمل الحلوى والفطائر ووضعها فى المكان وكأنها قرابين تقدم على مذبح إله من آلهة مصر القديمة . =

. . . .

= ويلاحظ فى أمر هذه الممارسة المفارقة فيما قالت به الراوية من تحطيم تلاميذ المدارس للحجر وإلقائه فى المصرف وما سبق لرواة آخرون أن قالوا به من حرمة المكان القائم به الحجر والضرر الذى يقع بكل من يحاول الاعتداء عليه ، وأن الحجر ينتقل بعيداً عن الماء ثم يعود ... الخ .

ويلاحظ فى أمر هذه الممارسات المتعلقة بالتماثيل والأحجار

– أنها ترتبط بمخلفات أثرية فرعونية ، وأضرحة أولياء ، وأحجار .، ويمكن تفسير هذا بأن الممارسات المرتبطة بآثار فرعونية ربما كانت بقايا ممارسات قديمة كانت ترتبط بآلهة الإخصاب عند قدماء المصريين ، وأن الممارسات المرتبطة بالأضرحة شئ مألوف فى الحياة الشعبية المصرية التى يشيع فيها التوسل بالأولياء لقضاء الحاجات ، أما ما يتصل منها بالأحجار فيمكن تفسيره على ثلاثة أوجه :

الأول : أن بعض هذه الأحجار ربما كان من بقايا أثرية فرعونية قديمة ، ومن ثم فهى تعود إلى الممارسات الفرعونية القديمة .

الثانى : أن الأحجار كانت تتمتع بقداسة فى ذاتها ولعل أشهر هذه الأحجار هو " الحجر الأسود " الموجود بجدار الكعبة .

الثالث : " أن بعض هذه الأحجار بما كان شواهد قبور زالت ولم يبق منها إلا هذه الأحجار فتكون الممارسات المرتبطة بها من قبيل الممارسات المرتبطة بالأولياء فى أصلها البعيد .

– كما يلاحظ فى أمر هذه الممارسات أنها تتفق فى شكل الممارسة – مع وجود بعض الفروق – فهى فى جميع الحالات اتصال بالشئ عقب الدورة الشهرية للمرأة ، ثم الاغتسال ، وكسر الأبريق ويمكن للأبريق أن يحمل دلالة رمزية فهو يرمز للذكر خاصة فى طقس السبوع .

– أن هذه الممارسات تنتشر فى أرجاء المحافظة بصورة ملحوظة ، فهناك حجر أو تمثال أو ضريح فى كل منطقة تقصده النسوة اللاتى يطلبن الحمل ، الأمر الذى يكشف عن مدى الاهتمام بالخصوبة والإنجاب ويصور التعلق الشعبى بكل الأسباب التى يعتقد أنها توفر للأنثى القدرة على الحمل والإنجاب لاستكمال أهم مقوماتها فى نظر المجتمع وهو قدرتها على الحمل والإنجاب .



ســن الإنجــــاب

يفضل أهل الريف الإنجاب المبكر وهو يقولون فى ذلك :

" الخلفه البدريه زى الزرعة البدريه "

" كل ميت بدرى لما يخيب بدرى ، وكل ميت وخرى لما يصح وخرى "

" اللى ما فلح البدرى جاى المتأخر يجرى "

" خلفة عجايز "

" خلفة آخر الزمن "

وتظهر أقوالهم هذه أنهم يفضلون الإنجاب في سن مبكرة ، وهذا يفسر ميلهم إلى الزواج المبكر فعندهم أن الإنجاب المبكر مثل الزرع الذى يزرع فى وقت مبكر يكون نتاجه صحيحا قويا ، فقد علمتهم تجربتهم فى الزراعة أن الزرع الذى يزرع فى وقت مبكر ينمو قويا ويغل محصولا وافراً ، وكذلك يكون المولود الـ « بدرى » الذى حملت فيه أمه وهى فى ريعان شبابها ونضارتها على عكس المولود « وخرى » والذى تنجبه الأم بعد أن تكبر وتتدهور صحتها يكون ضعيفا ، ومن الجدير بالذكر هنا أن الزواج فى سن مبكرة يترتب عليه طول فترة الخصوبة فى حياة المرأة الزواجية الأمر الذى يترتب عليه كثرة ما تنجبه ، ومع هذا فإنه يمكن الاستفادة من هذه الأمثال فى مجال الدعوة إلى تنظيم الأسرة إذ يمكن أن توجه إلى الأمهات اللاتى ينجبن فى سن متأخرة لتبصرهن بما يترتب على هذا من آثار سيئة تلحق بالمولود وبالأم.

العلاقـــة بين الآبـاء والأبنـاء

يقولون عن العلاقة بين الآباء والأبناء :

" ابن بطنى يفهم رطنى "

" البطن ميجبش عدو "

" البطن قلابه "

" البطن بتجيب ده وده "

" البحر واحد والسمك ألوان "

" من طعم ولدى بلحه نزلت حلاوتها فى بطنى "

" قلبى على ولدى انفطر وقلب ولدى عليه حجر "

" آدم له ابن مالوش أب "

" ابنك ما هو ابنك إلا وهو فى حجرك "

" أول حزنى جيزة ابنى "

" مسير الابن يبقى جار "

" ادعى على ابنى وأكره اللى يقول آمين "

" ان جالك طوفان حط ولادك تحت رجليك "

" خلفة الشوم والندامه "

" درية أباليس "

" سابق فيه الشيطان "

" الولد الزفت يجيب لأهله اللعنه "

وتصور أقوالهم هذه علاقة الوالد بالمولود ، ومشاعر كل منهما تجاه الآخر وهى تكشف عما يلى :

– حب الوالد لولده وانشغاله الشديد بأمره ، وجمود مشاعر الولد نحو والده ، وقلة اهتمامه بأمره .

- أن عزوة آدم " تمثلت في ذريته " ، ولم تتمثل فى أصله ، ولقد جاء المثل الخاص بـ « آدم » انعكاسا لما هو معروف من أن « آدم » - كما ورد فى الكتب المقدسة - جاء من غير أب ولا أم ، فلم يكن ابننا ، ولم يجرب مشاعر الابن تجاه الأب والأم ، وبالتالى فلم تتأصل فيه هذه المشاعر بحيث يورثها أبناءه ، فجاء أولاده ومشاعر البنوة ضعيفة فيهم ، فى حين أنه أنجب فكان أبا فنشأت فيه مشاعر الأبوة فجربها وتأصلت فى نفسه بحيث أورثها أبناءه فجاء الواحد منهم يحب ذريته ويحرص عليها .

- أن الولد على الرغم من جمود عاطفته نحو والده لا يمكن أن يكون عدوا له .

- أن الأبناء لا يأتون على صورة واحدة على الرغم من وحدة الوعاء الذى يخرجون منه ، وأنهم يختلفون فيما بينهم خَلقا وخُلقا .

- أن علاقة الأم بأبنائها تتميز بالقوة والعمق لدرجة أنها تحرص على ألا يفارقوها وأن يبقوا إلى جانبها .

- أن الذرية السيئة تكون مصدر ألم وشقاء لأهلها حتى أنهم يندمون على أنهم انجبوها .

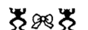
- أنهم يرون أن الذرية السيئة ربما كانت من نسل " الشياطين " ، ذلك أنهم يعتقدون بأن الشياطين يشاركون بنى الإنسان فى شتى أمورهم حتى فى العلاقة بين الرجل وزوجه ، يقول الأستاذ أحمد رشدى صالح " ذلك بأن الجان قد يشاركون الرجل عملية الإخصاب مما ينبغى معه أن يتلو الرجل البسملة فإذا لم يفعل " بخ الشيطان " فى زوجه ومنها الشتم المعروف (سابق فيه الشيطان)[١] .

ولاشك فى أن فساد الذرية إنما يعود فى أكثر الأحوال إلى كثرة النسل وضعف الامكانيات المتاحة للوالدين لتربية هذا النسل والعناية به الأمر الذى يترتب عليه أن ينشأ النسل مهملا محروما لأنه لم يحصل على حقه فى الرعاية والعناية ، وعلى كل حال فإن هذه الأمثال تكشف عن أن العبرة ليست فى مجرد الإنجاب ووجود الأبناء وإنما هى فى أن يكون الأبناء فى حالة طيبة بحيث يصيرون قرة أعين لوالديهم .

---

١ - أحمد رشدى صالح : الأدب الشعبى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧١ ، ص١٥٤.

- أن للإنسان إذا ما تعرض للخطر أن ينجو بنفسه حتى ولو ضحى بأولاده ، ويعكس هذا المعنى قسوة بالغة تتناقض مع ما سبق الكشف عنه من حب الوالد لولده وإيثاره إياه على نفسه ، لكن يلاحظ أن هذا المعنى ورد فى قول وحيد ، وهو على كل حال يتفق مع ما سبق إيضاحه من أن المعانى والقيم التى تحملها المأثورات الشعبية ليست مطلقة وأنها تختلف إلى حد التناقض ، ومن الصحيح أن بعض الآباء قد تصل بهم القسوة إلى حد التضحية بأبنائهم فى سبيل أنفسهم .



أهم القيم المرتبطة بالإنجاب وبالذرية
كما تكشف عنها الأمثال والأقوال الشعبية

يمكن بلورة أهم القيم التى ترتبط بالإنجاب وبالذرية ، والتى كشفت عنها هذه الأمثال والأقوال الشعبية فيما يلى :

- أن الأبناء هم زينة الحياة الدنيا وبهجتها ، ومصدر سعادة الأهل .
- أن الأبناء والذكور منهم خاصة هم سبيل الآباء إلى الخلود ودوام الذكر بعد الموت .
- أن الذكور من الأبناء هم قوى الإنتاج الأساسية فى المجتمع الريفى خاصة .
- أن الذكور من الأبناء هم الأمان والضمان للوالدين عند الشيخوخة والعجز .
- أن الذكور من الأبناء هم دعائم العصبية والعزوة ، وتتحقق بكثرتهم الهيبة والمكانة الاجتماعية الرفيعة .
- أن إنجاب الأبناء والذكور منهم خاصة يعمل على تدعيم مكانة المرأة فى بيت الزوجية ، ويرفع من قيمتها فى نظر المجتمع .
- أن الأبناء الذكور هم حماة أعراض الأسرة وأموالها .
- أن العقم شر مستطير ، وأنه أفدح ما تصاب به الأنثى ، وهو ينتقص كثيراً من قيمتها ، ويهدد أمنها واستقرارها العائلى ، الأمر الذى يدفعها إلى ضروب من الممارسات التى تستهدف استجلاب الحمل .

ومن يتأمل هذه القيم المرتبطة بالإنجاب وبالذرية يستطيع أن يردها إلى أصولها القائمة فى الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة فى المجتمع وخاصة فى الريف والمتمثلة بشكل أساسى فيما يلى :

- سيادة العمل الزراعى واعتماد العملية الزراعية على المجهود البدنى مما يستلزم وفرة الأيدى العاملة خاصة من الذكور .
- قوة المكانة الاجتماعية للأسرة ذات الحجم الكبير والعدد الكثير من الذكور .

- ضعف مكانة الأنثى بسبب قلة اسهامها فى العملية الانتاجية من ناحية ، وبسبب اعتبارات الجنس والعرض وما لهما من حرمة وخطر فى النفوس .

- نظام التوريث القائم في المجتمع ومكانة الذكر فيه إذ يحجب الورثة من الأقارب ويحول دون تبدد التركة وخروجها من دائرة الأسرة الضيقة .

- طبيعة الأسرة المصرية وكونها أسرة أبوية يمثل الذكر محورها وإليه ينتسب الأبناء .

- ارتباط قيمة " الفحولة " بالنسبة للرجل و " الخصوبة " بالنسبة للمرأة بكثرة إنجابهما فى نظر المجتمع .

- حالات التخلف والفقر التى يعيشها السواد الأعظم من الشعب وما ينتج عنها من ارتفاع معدل وفيات الأطفال الأمر الذى يدفع الزوجين إلى الإكثار من الإنجاب لمغالبة الموت .



الفصل الثانى

الأغنية الشعبية والإنجاب

- الأغنية الشعبية والإنجاب عند اختيار العروس .
- أغنية الزفاف والإنجاب .
- الأغنية الشعبية وسبوع المولود .
- الأغنية الشعبية وجنس المولود .
- الأغنية الشعبية واستيقاظ الطفل من النوم .
- الأغنية الشعبية وملاعبة الطفل .
- الأغنية الشعبية والألعاب التى يمارسها الأطفال .
- وجهة نظر الجماعة الشعبية إلى الأبناء والذرية من خلال الأغنية الشعبية المرتبطة بالإنجاب .

الأغنية الشعبية والإنجاب

ربما كانت الأغنية الشعبية أكثر الأشكال الأدبية الشعبية ارتباطا بالمناسبات الاجتماعية ، فلا توجد مناسبة اجتماعية تخلو من الأغنيات الشعبية التى تصورها وتعبر عن مشاعر الجماعة تجاه القيم الاجتماعية المرتبطة بها ، تقول الدكتورة نبيلة إبراهيم [1].

" يمكننا أن نقسم الأغنية الشعبية وفقا للوظيفة التى تؤديها إلى ثلاثة أقسام :

١ - أغنيات المناسبات الاجتماعية .

٢ - أغانى العمل .

٣ - الموال .

وهذا التقسيم من الأهمية بمكان ، حيث إن كل نوع من هذه الأنواع يؤدى من ناحية وظيفة محددة فى حياة الشعب ، كما أنه يسهم من ناحية أخرى فى استجلاء الملامح الأساسية لبناء المجتمع الشعبى والشخصية الشعبية التى تعيش فيه .

ولقد ارتبطت الأغنية الشعبية بدورة الحياة التى تبدأ بالميلاد " أى ميلاد الطفل " فعبرت عن مشاعر الجماعة إزاء هذا الحدث يقول أحمد رشدى صالح " وأظهر فروع الأدب دلالة على حادث الميلاد هى أغانيه ، وما يتبعه من هنهات ، وأغانى اللعب ، وأغانى الطفولة " [2].

وقد عبرت الأغنية الشعبية عن الاهتمام الشعبى بالإنجاب وبالذرية باعتبارهما أهم أهداف الحياة الزواجية وأهم مقوماتها ودعائمها ، وقد جعلت الأغنية الشعبية من القدرة على إنجاب الذرية الطيبة مقومًا أساسيًا من المقومات التى ينبغى على الشاب أن يراعيها عند اختياره لعروسه ، كما ظهر الاهتمام بالإنجاب وبالذرية فى صورة أمنيات ودعوات توجهها الجماعة من خلال الأغنية الشعبية للعروس بأن تلد الذكور الذين يعمرون بيت الزوجية ويسعدون أهله وهى بهذا إنما تبرز وتؤكد قيمة الإنجاب والذرية وأثرهما فى حياة الأسرة والجماعة .

---

١ - الدكتورة نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، الطبعة الثانية ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ص ٢٢٣ .

٢ - أحمد رشدى صالح ، الأدب الشعبى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧١ ، ص ٢٤٨.

الأغنية الشعبية والإنجاب عند اختيار العروس

عبرت الأغنية الشعبية عن اهتمام الجماعة بإنجاب الذرية الطيبة واعتبارها مقوما من مقومات " الأنثى " يجب أن يؤخذ فى الاعتبار عند اختيار العروس .

تقول الأغنية الشعبية :

واقعد على لبحار   روح ياعريس صلى العشا
واقعد على لبحار   نقى الأصيلة يا خويـــا
زيد أبوها مــال   ربن تخلف ولـــــد .
يبقى مــن الجدعان   روح يا عريس صلى العشــا
واقعد على لبحار   واوعى تناســب معيره
ألا تناسب خـــال   روح يا عريس صلى العشــا
واقعد على لبحار   روح يا عريس صلى العشا[1]

توصى الأغنية الشاب الذى يزمع الزواج أن يتخير فتاة أصيلة من بيت كريم مهما ارتفع مهرها ، حتى إذا أنجبت له « ولداً » جاء من « الجدعان » النجباء ، على شاكلة " خاله " ، وهى تحذره من الإصهار إلى الأرازل من الناس لكى يبرأ نسله من العيوب والمثالب التى تورث وبهذا تعكس الأغنية حرص الجماعة عند الزواج على اختيار " الأنثى " الأصيلة المنجبة لكى تلد الذرية الصالحة ويبدو هذا الأمر أهم مقومات المرأة عندهم ، كما تظهر الأغنية شدة حرص الجماعة على أن توفر لنسلها أحسن الصفات ، التى تتمثل عندهم ، كما تظهر فى الأصالة ، مما يبرز قيمة الأصل الطيب ، كما تعبر الأغنية عن الإحساس الشعبى العميق بخطر الوراثة وما تنقله من صفات وخصائص الآباء والأجداد ، واتساع دائرتها لتشمل الأقارب و " الخال " ، ولاشك فى أن مثل هذه الأغنية تعمل عملها فى النفوس خاصة نفوس النساء فتحرص كل منهن على أن تكون منجبة لعدد كاف من الأبناء تحقق به ذاتها وتدعم مكانتها فى الأسرة .

---

١ - روت هذه الأغنية ، صفية عثمان بركات ، ست بيت ، القرين مركز أبو حماد محافظة الشرقية .

أغنية الزفاف والإنجاب

يغنون للعروس ليلة زفافها

" طلت من الشرفه ترجم لها يا حمام

طلت من الشرفه يجعل قديك سعيد

عسلف والسلفة وتبكرى بغلام

وتعمرى الغرفة ترجم لها يا حمام

طلت من الشرفة ترجم لها يا حمام

طلت من الشرفة يجعل قديك سعيد

علعمه والجاره وتبكرى بغلام

وتعمرى الحاره ترجم لها يا حمام " [1]

تستقبل الأغنية الشعبية العروس وهى تخطو خطواتها الأولى فى بيت الزوجية فتدعو لها بأن يكون مقدمها مقدم السعد ، وأن تكون سببا فى عمار البيت والحارة ، وأن تجلب السعادة إلى الأهل والأقارب والجيران وذلك بالإنجاب ، إنجاب الولد الذكر الذى يحقق كل هذا ، وهكذا يبرز " الإنجاب " و " إنجاب الولد الذكر " بالذات كقيمة ومطلب تحرص الجماعة عليه وترجوه وتترقبه من العروس منذ يومها الأول ، وهكذا تبدأ الزوجة حياتها الزواجية وأمنيات الإنجاب " إنجاب الذكر " تتردد فى سمعها تنبهها وتذكرها بما هو مأمول فيها ومطلوب منها ، ولا يخفى على أحد ما يكون لمثل هذا الأمر من الأثر القوى فى تشكيل دوافعها نحو الإنجاب والإنجاب الكثير حتى تحقق ما هو مطلوب منها فتكون عند حسن الظن بها .

---

١ - روت هذه الأغنية ، صفية عثمان بركات . ست بيت ، القرين مركز أبو حماد محافظة الشرقية .

الأغنية الشعبية وسبوع المولود

يعد الاحتفال بـ « سبوع المولود » أهم طقس فى طقوس الولادة (١).

---

١ - عصر اليوم السادس لميلاد المولود تحضر « الداية » للتجهيز للسبوع فتقوم بإعداد " الملح " أو "الرشوش " ، وهو عبارة عن خليط من الحبوب " سبع حبوب " ، " قمح ، شعير ، فول ، برسيم ، ذرة ، عدس، حلبة ، ومقدار من ملح الطعام " ، ويؤتى بـ " أبريق " من الفخار إن كان المولود " ذكراً " ، أو " قله " إن كان " أنثى " ، وبالشموع وملابس جديدة للوليد .

تحمى الداية المولود ، وتلبسه الملابس الجديدة ثم تلفه وتضعه فى " غربال " ، ويحتفظ بماء حموم الوليد فى صينيه ، أو قروانه ، ويلقى فيه بقدر من " حبوب الفول " ، ثم يؤتى بالإبريق أو القلة فتملأ بالماء وتلبس ملابس الوليد التى استبدلت ، يزين الإبريق " بساعة " الأب و " خاتمه " ، وتزين القلة بـ " تربيعة الأم " و " كردانها " و " غوايشها " ، ثم توضع شمعة موقدة فى وسط " صحبة ورد " توضع فى فوهة الإناء ، ثم يوضع فى وسط الإناء الذى به ماء " الحموم " ، تزغرد الحاضرات وتلقين بقطع من النقود المعدنية فى " ماء الحموم"، " النقوط " ثم تقوم الداية بـ " رقوة الملح " فتتلو عليه " الفواتح " للنبى والأولياء و " تصلى على النبى ﷺ " ويعرف الملح بعد هذا بـ " الملح المرقى " بعد أن اكتسب بركة " الرقوة " ، ثم يوضع فى إناء إلى جوار المولود حتى الصباح ، وهم يحذرون من تقبيل المولود فى ليلة السبوع ويقولون إنه يجب أن يترك هذه الليلة "للملوك" الذين يحيطون به من أهل الأرض وقد يستحضر بعضهم من يقوم بقراءة جزء من " مولد النبى " .

وفى صبيحة يوم " السابع " تحضر الداية فتقوم بالتقاط قطع العملة الملقاة فى " ماء الحموم " ، ثم تنتشل حبوب الفول التى يقومون بصنعها " عقود صغيرة يتكون كل منها من سبع حبوب ويسمى سبوع " وتوزع على الأطفال الذين يفدون عادة إلى بيت المولود للاحتفال بالسبوع ، ثم يحمل " ماء الحموم " فيسكب تحت شجرة خضراء " أو " نخلة عفية " أو " البقرة " باسم المولود فيقولون " نخلة فلان " أو بقرة فلان " ... الخ ، وهم يقولون فى تفسير هذه الممارسة أنهم يفعلون هذا حتى يشب المولود فيترعرع مثل الشجرة أو النخلة . [بدرية إبراهيم صابر ، داية ، اكياد البحرية ، مركز فاقوس - فتحية منسى ، الجديدة ، مركز منيا القمح - فاطمة العلوية ، داية ، السماعنة ، مركز فاقوس - زكية على نصر الدين ، داية ، صان الحجر مركز الحسينية] .

وربما عكست هذه الممارسة بقايا " طوطمية " خاصة ما عرف بـ " الطوطم الفردى " يقول الدكتور على عبد الواحد وافى :- =

. . . .

= " هذا ولا يزال للتوتم الفردى رواسب كثيرة فى العصر الحاضر ... وقد جرت العادة فى بعض الأمم الأوروبية أن تغرس الأسرة شجرة يوم أن يولد لها وليد ، وتحيط هذه الشجرة بعناية كبيرة ، وتعتقد أن مصير الطفل معلق بمصيرها " { الدكتور على عبد الواحد وافى ، الطوطمية ، سلسلة اقرأ ، دار المعارف ، مصر ، العدد ١٩٤ ، ص ٨٧ } .

ثم تقوم الداية والحضور بباقى الطقوس الخاصة بـ « السبوع » - جاءت فى السياق فى موضع آخر - .

" الإبريق والقلة "

يحتل الإبريق و القلة مكانة بارزة فى الممارسات الخاصة بـ " السبوع " ، ويظهر من تلك الممارسات أنهم يعتبرونهما رمزاً للمولود ، ويبدو هذا بجلاء فى ارتباط " الإبريق " بالذكر و " القلة " بالأنثى ، يقول عبد الغنى الشال " ولا زالت العادات والمراسم التى ترتبط بالسحر والتعاويذ وغيرها سارية حتى الآن مع ما يصاحبها من أغان ورقصات فى مناسبة الختان وزفاف العروسة ، وختان الطفل وسبوعه حيث يلعب الإبريق الفخارى والقلة دوراً رئيسيا فى الحفل ، ففى اليوم السابع لمولد الطفل يقام الحفل فإذا كان المولود ذكراً أحضر الإبريق رمزاً للذكورة ، وإذا كان المولود أنثى أحضرت القلة رمزاً للأنوثة . { عبد الغنى الشال ، مقال الفخار الشعبى فى مصر ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد السادس ، العدد الرابع ، ١٩٧٦ ، ص ١٠٩٢ } .

ومن الجدير بالذكر أن النسوة اللاتى يحطن بمن تلد يسألن الداية حين ينزل المولود " أبريق وله قله ؟ " .

ويؤكد هذا الأمر ما يعمدون إليه من تزيين الإبريق والقله بالباسهما ثياب المولود وأشياء الوالد أو الوالدة ، هذا ولقد ارتبط الانسان فى تكوينه الأول بالفخار فالله سبحانه وتعالى ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ { قرآن كريم ، سورة الرحمن ، الآية ١٤ } .

ويقول الدكتور عثمان خيرت " ولا يخفى أن الفخار أقرب أشكال الآنية شبها بجسم الإنسان من حيث المسام فبينما يفرز جسم الإنسان من مسامه عرقا يرشح الفخار ماءً . { الدكتور عثمان خيرت ، مقال " قلة السبوع " ، مجلة الفنون الشعبية ، القاهرة ، العدد العاشر ، سبتمبر ١٩٦٩ ، ص ٢٩ } .

هم يملأون " الإبريق أو القلة " ليلة السبوع بالماء - كما سبق القول - وفى صباح يوم السبوع يقصدون واحداً من " المعمرين " فيجعلونه يشرب من ماء الإبريق أو القلة ، ويقولون إن من شأن هذا أن يجعل المولود " طويل العمر " ، ويمكن القول إنهم ينظرون إلى ماء الإبريق أو القلة وكأنه ماء حياة الوليد ، أو كأنه الروح التى تملأ الجسد ، ويكون شرب العجوز من ماء الوليد هو بمثابة ربط الحياة الوليدة بالحياة العريقة المعمرة =

. . . .

= وهو وصل الأجيال بعضها ببعض ، ويكشف هذا عن النظرة الشعبية للإنجاب واعتباره استمراراً للحياة وامتدادا لها ، وتخليداً للأصول الإنسانية ، وهكذا يحاولون من خلال هذه الممارسات تأمين الحياة الإنسانية الوليدة وربطها بمن حولها وما حولها فى وحدة واحدة .

الأصل فى أبريق وقلة السبوع أنهما بمثابة " الرمز " للوليد يمارسون عليه من الطقوس ما يعتقدون أنه سيجلب له الخير ويحفظ حياته كما سبق القول ، لكن الإبريق والقلة هما آنيتان فخاريتان تنتميان إلى عالم "الفخار " الرحب ، ومن ثم فإن تطور شكليهما جماليا أمر طبيعى ، ولقد سبق القول إنهم يزينوهما خلال طقس السبوع باعتبار قيمتهما الرمزية ، فيلبسونهما الملابس والحلى الخاصة بالجنس الذى يمثلانه لكن يلاحظ أنه قد لحق بهما تطور يمكن تتبعه فى المظاهر التالية :

– المظهر الأول يتمثل فى إضافة قواعد تثبت فيها الشموع التى توقد عادة ليلة السبوع إلى جسد القلة والإبريق مما يقربهما من شكل الشمعدان . { أم إسماعيل عبد العزيز ، فخرانية ، قسم النحال ، مدينة الزقازيق } .

– المظهر الثانى يتمثل فى " كسوة " الإبريق أو القلة بالأوراق الملونة مشدودة على هيكل من العصى والأسلاك يحيط بالآنية فيجعلها إأقرب إلى " الفانوس " تتدلى فى داخله وخارجه ورود ورقية وكريات ورقية مفضضة { عبد الله إبراهيم محمود ، يعمل فى تزين القلل ، الحسينية ، مدينة الزقازيق } .

– المظهر الثالث يتمثل فى دخول الصفيح فى عملية التزين إذ يذهبون إلى السمكرى بالقلة أو الإبريق فيقوم بتحزيمهما بطوقين من الصفيح أولهما عند القاعدة والثانى فى المنتصف يخرج من كل طوق عدد من الأذرع ، متجهة إلى أعلى ينتهى كل منها بقاعدة مستديرة تثبت فيها الشمعة وبعد ذلك يذهبون بالآنية إلى " البستانى " أو " بائع الزهور " الذى يقوم بتزيينها بالزهور وذلك بلصق أوراق الورد على جسدها مستغلا الإمكانيات اللونية لديه ثم يعد " صحبة ورد " يضعها فى فوهتها { أحمد محمد عبد المنعم ، سمكرى ، قسم الجامع ، مدينة الزقازيق } .

ويلاحظ أن هذه الأشكال انتشرت فى المدينة ثم انتقلت منها إلى القرية ، كما يلاحظ أن بعض الناس يضع إلى جانب هذه القلة أو الإبريق قلة أو إبريقًا عاديًا يملأه بالماء . وعادة ما يحتفظ بالقلة أو الإبريق بعد ذلك فى مكان أمين .

. . . .

تسمية المولود :

تعد تسمية المولود من الأمور الهامة التى يولونها قدراً كبيراً من الاهتمام ، وهم عادة يختارون اسم المولود من بين أسماء الأهل ، الوالدين ، الأجداد ، الإخوة والأخوات ، والأعمام ، والأخوال . وقد يسمون بأسماء الأولياء ، والزعماء ، كما يسمون بأسماء المطربين والمطربات ، والفنانين والفنانات وأسماء أبطال المسلسلات الإذاعية والتليفزيونية ، وذلك بعد دخول الراديو والتليفزيون فى الحياة الشعبية ، ولكنهم يفضلون اسم محمد ، ومشتقات مصدر الحمد ، وعبد مضافة إلى أسماء الله الحسنى " ما عبد وحمد " ، للذكور ، وأسماء زوجات النبى وبناته للإناث ، ويقوم الوالد أو الجد عادة باختيار الاسم خاصة اسم الولد الذكر ، وقد يمارسون طقوسا خاصة للتسمية مثال ذلك :

- يختارون عدداً من الأسماء ، ثم يوقدون عدداً من الشموع بحيث ترمز كل شمعة إلى اسم من الأسماء المختارة ، ويسمون بالاسم الذى ترمز إليه آخر شمعة تنطفئ ، ومن الجلى أنهم يعتبرون الشمعة المشتعلة رمزاً للحياة ، وأن الشمعة التى تبقى مشتعلة أطول من غيرها تعنى عمراً أطول للاسم الذى ترمز إليه ولحامله بالتبعية .

- يتوسلون أثناء عملية الولادة بأسماء الأنبياء والأولياء لتسهيل عملية الوضع ، والاسم الذى تحدث بعد التوسل بصاحبه الولادة ، يطلقونه على المولود ، وهم بذلك يربطون بين ما يعتقدونه من بركة الاسم وأثره الذى تحققوا من إجابته ، وبين المولود ، ويكون الاسم بذلك « مبروك ومجرب » .

- يذهبون إلى من « يحسب النجم » ، ويعرضون عليه الأسماء التى وقع عليها اختيارهم ، فيقوم « بحساب نجم كل اسم » ، ويعين لهم الاسم الأنسب ، ويعكس هذا الاعتقاد الشعبى فى تأثير الطوالع والأبراج فى مصائر الناس ، وفى خطورة الاسم وارتباطه العضوى بحامله وأن للحروف والأعداد أسراراً وآثاراً يقول البونى " واعلم أن للأعداد أسرارا كما أن للحروف آثاراً " [انظر شمس المعارف المعارف الكبرى للبونى ، ج ١ ، ص ٥] . فلكل حرف قيمته العددية ومن ثم فله أثره ، ويمكنهم حساب قيمة الاسم وفقا لجدول معين يوضح القيمة العددية لكل حرف .

- وقد يسمى بعضهم المولود باسمين ، اسم يكتب فى شهادة الميلاد ، ويحجب فلا يشاع واسم آخر يعرف به ويشاع بين الناس ، ويعكس هذا الاعتقاد فى خطورة الاسم وارتباطه بصاحبه ارتباطا عضويا حتى ليصير معادلا له ، يلحق صاحبه ما يلحقه من تأثير ، لذا يخفونه ، ويشيعون اسما آخر كاذبا ليتداوله الناس ، =

. . . .

= فإن حاول أحد إلحاق الأذى به لم يمتد هذا الأذى إلى الشخص الذى يعرف بهذا الاسم الكاذب لأنه ليس اسمه الحقيقى . يقول الدكتور عبد المنعم أبو بكر : " اعتقد المصرى القديم بوجود علاقة خفية بين الإنسان واسمه ، واعتقد أيضا أن اسم الشخص يكون الجزء الحى منه ، بل إن هذا الاسم هو العنصر الذى يقوم شخصيته وقوته ، ومن أجل ذلك اعتاد المصرى أن يطلق اسمين على الشخص " الاسم الأكبر " و " الاسم الأصغر " ، أو الاسم الكبير والاسم الجميل ، وكان الاسم الثانى هذا هو الذى يشاع بين الناس بينما اعتاد المصرى أن يخفى الاسم الكبير ...... تحدثنا عن الإله الأكبر رع ، وعن أسمائه الكثيرة ، وأن اسما واحداً من بينها أحاطه الإله بسياج من الكتمان ، لأنه يعتبره ينبوع القوة والسلطة والجاه .

- إنى شريف ابن شريف ، أتيت إلى الحياة إلاها .

- إنى عظيم ابن عظيم ، اختار أبى اسما لى .

- لقد تعددت أسمائى ، واختلفت أشكالى .

- وقد أودعت صورتى آلهة مختلفة .

- واختار أمى وأبى اسما لى .

- وأخفى هذا الاسم فى جسدى قبل ولادتى حتى لاتستطيع قوة ساحر أو ساحرة أن تعرفه وتتغلب به علىّ" { الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، أساطير مصرية ، سلسلة اقرأ ، دار المعارف بمصر ، العدد ١٣٤ ، ص ١٩ ، ٢٠ } .

ويقول فريدريش فون درلاين عن علاقة الاسم بصاحبه " وكذلك يتضمن اسم الإنسان كيانه وقوته وعند الجرمانيين يعد الطفل معترفا به حينما يمنحه الوالد اسما ، أما قبل ذلك فمن الممكن التبرؤ منه ، وقد يقتل نتيجة لذلك ولا يعد قتله جرما ، وعلى ذلك فإن الطفل لا يكتسب روحا إلا عن طريق الاسم ، وكل من يعرف اسم كائن يكون له سلطان عليه كذلك ، يقول المثل " إذا ما نطق الإنسان باسم الذئب جاء يعدو " مع النطق باسم المدعو يستكين لقوة الإنسان . { فريدريش فون ديرلاين ، الحكاية الخرافية ، ترجمة الدكتور نبيلة إبراهيم، الألف كتاب ، ٥٦١ ، ص ٧٤ ، ٧٥ } .

وقد يسمون المولود باسم قبيح مثل " خيشة ، شحات ، فار " وذلك إذا كان إخوته الذين سبقوه قد ماتوا ، ويعتبر هذا حيلة لمواجهة ما قد تعرض له من الموت مثل أخوته ، ويعكس هذا الاعتقاد فى الارتباط بين =

. . . .

= الاسم وصاحبه ، وأنهم حين يقبحون الاسم فإنهم يقبحون حامله وبذا يصرفون عنه خطر الحسد أو أذى الأرواح الشريرة ، يقول الكزاندر هجرتى كراب : " وكانت العادة السارية فى أغلب الأحيان عند البابليين القدماء وأهل أتروسكا والرومان أن تستعمل طوالع ميلاد خاصة فى تحديد اسم الطفل ، فاذا قال ساكو النحوى مثلا أن رجلا أراد أن ينقذ طفلين ملكيين فأطلق عليهما أسماء الكلاب لينجوا من الظلم ، فإننا نذكر عادة الباكوت في أن يسموا الطفل الذى مات أخوته الكبار باسم « الأوهوتو » أى « الجرو » ، لينقذوه من اضطهاد شياطين الأوبئة والأمراض " . (الكزاندر هجرتى كراب ، علم الفولكلور ، ترجمة أحمد رشدى صالح ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، مصدر ، ١٩٦٧ ، ص ٣٥٤) .

وربما كان السر فى تسمية المولود بمثل هذه الأسماء هو الاعتقاد فى أن الشر إذا استهدف الاسم فإنه يصل إلى مسماه الأصلى " الخيشة أو الفأر " وبهذا تكون هذه التسمية هى نوع من الأسماء الكاذبة أو المضللة .

ويتجلى هذا الاعتقاد فى خطورة الاسم وتأثيره فى صاحبه فى كثير من أحاديثهم وممارساتهم فهناك المكانة البارزة والأثر الهام لاسم « الله » ، فهم يسمون بـ « اسم الله » قبل البدء فى أى عمل تبركا به ، وهم يسمون باسم « الله » حفظا وصيانة للذرية « اسم الله عليك وحواليك » ويسمون باسم النبى « اسم النبى حارصك وصاينك » ويدعون للمولود بعد التسمية " اسم وطولة عمر " و " عاشت الأسامى " و " ربنا يخلّى الاسم وصاحبه " ، ويجسد كل هذا الاعتقاد فى خطر الاسم واعتباره ذات المسمى .

كما ينعكس هذا الاعتقاد فى « دعائهم بالشر » ، وهم يدعون على الشخص فيقولون « ينخفى اسمك » و « ينعدم اسمك » و « ينشطب اسمك » و « ينمسح اسمك من على ضهر الدنيا » و « إن شا الله تعدم اسمك » و « اللى ما يتسماش » ، فالدعاء هنا يتخذ من الاسم هدفا له باعتبار أن الاسم هو ذات المسمى ، فالمصيبة الموجهة إليه موجهة إلى حامله ، فإذا ما انعدم أحدهما انعدم الآخر حتما ، وتقوم عبارة « اللى مايتسماش » بكشف جانب من جوانب المعتقد الشعبى فى الاسم ، فهى قد تعنى تجريد الشخص من اسمه ليصير بلا اسم ، فاقداً لكيانه ووجوده ، فيكون الاسم بذلك هو تحقيق وجود المسمى ، أو أنها تعنى كراهية ذكر الاسم حتى لا يستتبع ذلك حضور صاحبه البغيض ومثله يقول « جبنا سيرة القط جه ينط » ، فيكون فى هذا دليل على اعتقادهم فى الترابط العضوى بين الاسم وحامله بحيث يستتبع ذكر الاسم حضور المسمى .

وتعكس الممارسات المترابطة بالتسمية الحرص العميق على تأمين المولود وصيانته وحفظ حياته .

سبوع المولود

يقول الدكتور سيد عويس : " يلاحظ أن أهم طقوس مابعد الولادة مايحدث فى يوم «السبوع » .. والأغلبية الساحقة من المصريين على اختلاف مكاناتهم الاجتماعية ومستوياتهم الاقتصادية والثقافية يحتفلون بـ « سبوع المولود » [١].

وتشارك الأغنية الشعبية فى هذا الطقس بدور كبير فما أن يبدأ الاحتفال حتى تعلو أصوات الحاضرين بالغناء المصاحب لأركان الطقس التى تجرى على النحو التالى :

الركن الأول تخطية النار

تقوم الوالدة فتحمل وليدها وتخطو فوق البخور الذى أعدته الداية بعد أن تضع فيه بعض الملح وهم يعتقدون بأن النار والبخور يطردان الشياطين عن الأم ووليدها ، وخلال قيام الوالدة بذلك تردد الداية :

الأولـــه واحد

الثانيــه وداد

التالتــه منعاد

الرابعــه حسن الختام

الخامسه النبى عزيز الإسلام

الساتــه حسبتك بالأربعه المدركين

والسابعه العاشق فى جمال النبى يصلى عليه[٢].

ومن الواضح أن الكلمة تشارك بدور هام فى هذه الممارسة فهى تصاحب الفعل ولكل خطوة من الخطوات السبع صيغتها القولية المصاحبة لها ، فالخطوة الأولى هى البداية " واحد " والواحد رمز له أهميته إذ يعود إلى الله الواحد الذى هو البدء ، والخطوة الثانية " الوداد " أي المودة والصفاء داخل الأسرة التى تدعمت بالمولود الجديد ، والخطوة الثالثة " منعاد " أى

---

١ - الدكتور سيد عويس ، حديث عن المرأة المصرية المعاصرة ، مطبعة أطلس ، ١٩٧٧ ، ص ٧٤ .

٢ - داية الحوض الطويل ، مركز منيا القمح .

متكرر ومستمر ، رجاء وأمل فى تكرار عملية الحمل والولادة ، وينبغى الالتفات إلى هذا المعنى فهو ينبه الوالدة ويلح عليها بأن تكرر هذه العملية وتكثر من الإنجاب ، يحدث لها هذا وهى فى موقف التكريم والحفاوة ، ولاشك فى أن هذا الأمر يقوى من رغبتها فى إنجاب المزيد ، إذ إن هذه الدعوة إنما تعبر عن رغبة الجماعة فى معاودة الإنجاب .

والخطوة الرابعة « حسن الختام » أى الأمل فى أن يتم كل شئ على خير فالعبرة عندهم بالخاتمة ، والخطوة الخامسة فيها التوسل بالنبى عليه السلام ، ومع الخطوة السادسة التوسل بالأقطاب لأربعة ، والخطوة السابعة والأخيرة هى الختام وتصحبها الصلاة على النبى وهى الختام التقليدى لهذا الركن ، ومن الجلى أن الكلمة هنا تشارك فى الفعل ، وتعبر عن المشاعر المرتبطة بالمناسبة والممارسة التى تجرى والتى تهدف بها الجماعة إلى تأمين وتحصين الوالدة والمولود ضد السوء والشر .

الركن الثانى رش الملح

تقوم الداية برش " ملح " المولود فى أرجاء البيت مرددة

يــا مــلــح دارنـــا كــتــر عــيــالــنــا

يـا مـلـح الـمـلـوك يـجـعـلـك مـبـروك[1].

يـا حـنـان يـا مـنـان املا دارنـا صـبـيـان[2].

يــا مــلــح دارهــم كــتــر صــغــارهــم

عــــوده ســــنــــوى

يــارب هـــات لـــهـــم كـــل ســـنـــه[3].

وتقوم الأشياء هنا بدور مهم فهى تعد فى الحقيقة تجسيداً للرغبة ولهذا فإن الشئ فى هذه الحالة لابد أن يكون حاملا لدلالة هذه الرغبة ومن الواضح أن الرغبة هنا هى فى الإكثار من الذرية ولهذا فالكلمات كلها تحمل معنى الإكثار والتكرار .

---

١ - بديعة إبراهيم أبو العلا ، داية ، الشبراوين ، مركز ههيا .

٢ - زكية على نصر لدين ، داية صان الحجر ، مركز الحسينية .

٣ - فاطمة العلوية ، داية ، السماعنة مركز فاقوس .

الركن الثالث الغربلة

يوضع خليط من الحبوب مثل ، البرسيم ، الحلبة ، العدس ، الأرز ، القمح ، فى الغربال إلى جانب المولود ثم يغربل المولود مع الحبوب على نحو يوحى بأن المولود يماثل الحبوب وأنه بمثابة البذرة التى يرجى منها الكثرة والنضرة يقول أحمد رشدى صالح : " فى يوم السبوع تلفتنا عادة غربلة الطفل فى غربال به قمح ومكسرات وأغلب الظن أن تلك عادةج مترسبة من حيث كان الازدواج بين إخصاب الزرع والإنسان شيئا واحداً " [1].

ويمكن تفسير عملية غربلة الطفل على ضوء هذا الفهم بأنها عملية تنقية رمزية لحصاد الغرس الإنسانى ذلك أن الغربال هو أداة الفلاح لتنقية حصاد مزروعاته من الشوائب .

الركن الرابع دق الهون

من الممارسات الخاصة بالسبوع « دق الهون » ، يوضع المولود فى الغربال ، ويؤتى بـ «هون نحاس » يوضع إلى جواره وتقوم الداية بالدق فيه محدثة أصواتًا عالية مرددة :

الدايـــــة	يجعلك من المسعدين
الحضور	آمـــــــــــــين
الدايـــــة	لك العبيد والخدامين
الحضور	أمـــــــــــــين
الدايـــــة	تاخدى [2] كبير الوزاره
الحضور	آمـــــــــــــين
الدايـــــة	تاخدى كبير النيابه
الحضور	آمـــــــــــــين
الدايـــــة	تحنى على الغلابه والمساكين
الحضور	آمـــــــــــــين

---

١ - أحمد رشدى صالح ، الأدب الشعبى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧١ ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

٢ - يعدل هذا النص فى حالة الذكر بحيث يتناسب معه .

الـدايـــة　الــعــمــر الــطــويــل لــيــكــى

الحـضــور　آمـــــــــــــــين

الـدايـــة　الـرزق الـكـتـيـر لابـوكـى وعـمـامـك وخـلانـك

الحـضـور　آمـــــــــــــــين

الـدايـــة　يجـعـل عـمـرك فى حجر صوان لايـعـت ولا يـدوب

الحــضــور　آمـــــــــــــــين[1]

تتردد هذه الكلمات مصحوبة بإيقاع دقات « الهون النحاس » مصورة مشاعر الجماعة تجاه المولود ، وكلها عبارات تحمل أمنياتها له وآمالها فيه ، وتعكس تطلعات الجماعة وأحلامها المرتبطة بالمولود ، ومن الجلى أن هذا النص خاص بمولود « أنثى » وهو يكشف بجلاء عن النظرة الشعبية إلى الأنثى من خلال ما يحمله لها من أمنيات تدور حول السعادة التى تتحقق لها فى نظرهم بأن تتزوج من كبير الوزراء ، أو رئيس النيابة ، وأن يكون لها العبيد والخدم ، وأن تنعم بالعمر الطويل وينعم ذووها بالرزق الوافر ، وأن تكون عطوفة على الغلابة والمساكين ، تتحقق سعادة الأنثى عندهم إذن بأن تتزوج من شخص فى مكانة اجتماعية رفيعة ، ذلك أن الزواج هو دورها الأساسى فى الحياة ، ويكشف هذا النص عن تطلعات شعبية نحو الصعود الاجتماعى بالإصهار إلى ذوى النفوذ وأصحاب الجاه من الحكام، ويبرز هذا المعنى دور النسب فى توسيع دائرة العصبية والعزوة القائمة هنا على الإصهار لذوى لنفوذ والسلطة ، وقد تردد الداية وهى تدق « الهون » هذه العبارات " اسمع كلام أمك ، اسمع كلام عمك ، اسمع كلام خالك " وهم يقولون فى تفسير المقصود من وراء دق الهون ، إنه تعويد للمولود على سماع الأصوات الحادة حتى لايفزع عند سماعها فى قابل أيامه ، ولكن السير جيمس فريزر يرى فى الأمر رأيًا آخر فيقول " فقد كان الرأى الشائع منذ العصور القديمة، وما قبلها هو أن الشياطين والأشباح تهرب عند سماع صوت ينبعث من معدن سواء أكان هذا الصوت صوت صليل من الأجراس الصغيرة أو قعقعة متواصلة طنانة تنبعث من الأجراس الكبيرة أو كان صليل الصنج الحاد ، أم دوى الطبول ، أم صلصلة أطباق من البرنز أو

---

١ - روت هذه الأغنية داية بلبيس .

الحديد ، عندما يرتطم بعضها ببعض أو عندما تضرب بمدق أو عصى " [1] . ويقول كذلك "روى أن أفراد قبيلة « جوند » فى الهند يقرعون على طبق من النحاس عند ميلاد طفل حتى يتغلغل الصوت إلى آذان الطفل فلا يسمع ما دونه من الأصوات ، ويبدو أن هذا السبب الذى قدم تفسيراً لهذه العادة ليس هو السبب الأصلى ، أما السبب الرئيسى فيما يبدو فهو حماية الأم وطفلها من شر الأرواح الشريرة وذلك عند سماع هذه الأرواح لأصوات قرع النحاس " [2].

ويبدو تفسير السير جيمس فريزر لعادة قرع الهون متوافقا مع ما تهدف إليه الخطوات الأخرى فى طقوس السبوع من حماية الوالدة والمولود من الأخطار المحيطة بهما سواء ممن يعيشون فوق الأرض أو تحتها .

الركن الخامس زفة الوالدة والمولودة :

تحمل الوالدة مولودها وتسير فى أرجاء البيت محاطة بالأهل والأقارب ، وتردد الداية أثناء ذلك :

" برجالاتك برجالاتك حلقه دهب فى وداناتك "

" احجالاتك برجالاتك حلقه دهب فى وداناتك "[3]

ولقد اختلفت الآراء حول معنى كلمة « برجالاتك » التى ترتبط ارتباطا وثيقًا باحتفالات السبوع فأحمد رشدى صالح يقول " لم نقع على معنى لهذه الكلمة ولعلها قد استخدمت كما تستخدم الألفاظ المبهمة فى أغانى المعتقدات " [4]، يقصد كلمة « برجالاتك » ، ويقول الدكتور عثمان خيرت " لقد بذلت جهداً فى السؤال والاستفسار عن معنى « برجالاتك برجالاتك » كل من سألتهم يقولون هكذا سمعنا وهكذا نقول ، ثم أتتنى الإجابة على لسان الحاج أحمد عرابى من رجال الواحات البحرية فيقول إن كلمة « برجالاتك » هى تصغير لكلمة

---

١ - السير جيمس فريزر ، الفولكلور فى العهد القديم ، الجزء الثانى ، ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ٢٢٨ .

٢ - ذاته ، ص ٢٥٠ .

٣ - روت هذا لنص الداية بدرية إبراهيم صابر ، أكياد البحرية ، مركز فاقوس .

٤ - أحمد رشدى صالح ، الأدب الشعبى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧١ ، حاشية ص ٢٤٩ .

أرجل ومعناها " برجليك الصغيرة ستسير وتشب وتكبر " أما معنى " حلقه دهب فى وداناتك" فهى التمنى بأن يكون للمولود مستقبلا مال وفير [1].

ويقول الدكتور سيد عويس " يبدأ الحفل عادة بإطلاق البخور ، ثم تزف الأم وهى حاملة طفلها من على عتبة البيت حتى لحجرة التى يتم فيها السبوع وذلك بأن يسير وراءها أطفال البيت وأطفال الجيران يحملون الشموع المضيئة وهم يترنمون " حرجالاتك برجالاتك .. حلقه دهب فى وداناتك " إذا كان الطفل بنتا ، أو " يارينا يارينا يكبر ويبقى قدنا " إذا كان الطفل ولداً أو مجرد " شفنا وش جديد يرزقنا برزق جديد " والكلمة " حرجالاتك " مشتقة من " حرجل " ومعناها عدا يمنة ويسرة ، فيكون معنى الأغنية حينئذ ، برجليك الصغيرتين سوف تعدو وتسير حتى تشب عن الطوق وتكبر[2].

ويلاحظ أن ما انتهى إليه الدكتور سيد عويس فى تفسيره لمعنى " حرجالاتك برجالاتك " يتفق مع ما قاله الدكتور عثمان خيرت ، غير أن الباحث يطرح تفسيراً آخر يعتمد فيه على ما جاء بالنص الذى يقول " احجالاتك برجالاتك " وهو أنه يمكن تفسير كلمة " احجالاتك " بأنها جمع كلمة " حجل " والحجل كما هو معروف عبارة عن حلية شعبية معروفة ، ومن عاداتهم أن يلبسوا الطفل - ولداً كان أم بنتا - حجلا قد يكون من الذهب أو الفضة حول ساقه ، ويلاحظ أن جمع " حجل " على " احجالات " يتسق مع جمع " رجل " على ارجالات " و " ودن " على "اودانات " فيكون المعنى لتلبس الحجل فى رجلك ، والحلق فى أذنك كناية عن العز ورغد العيش ، ومن الجدير بالذكر هنا أن " الحجل " الذى يلبسه الطفل يكون " برشرش " والرشرش عبارة عن سلاسل رفيعة تنتهى بقطع صغيرة من المعدن تحدث نوعًا من الصلصلة ، ولعل الدافع الحقيقى وراء لبس الحجل على هذا النحو هو إبعاد الأرواح الشريرة والشياطين عن الطفل بإخافتها بصوت صليل المعدن ، يقول سير جيمس فريزر " ومن المحتمل أن مثل هذا الدافع يكمن وراء عادة تعليق الأجراس حيثما انتشرت هذه العادة ، فى جسم الإنسان بخاصة فى رسغ القدم وفى المعصم والرقبة " [3]- يقصد أن الدافع هو إفزاع الشياطين - .

---

١ - الدكتور عثمان خيرت ، مقال تحت عنوان " قلة السبوع " ، مجلة الفنون الشعبية ، القاهرة ، العدد العاشر ، سبتمبر ١٩٦٩م ، ص ٢١ .

٢ - حديث عن المرأة المصرية المعاصرة ، ١٩٧٧م ، مطبعة أطلس ، ص ٧٥ .

٣ - سير جيمس فريزر ، الفولكلور فى العهد القديم ، الجزء الثانى ، ترجمة الدكتور نبيلة إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م ، ص ٢٤٩ .

وبهذا الفهم للكلمة فإن " الحجل " يكون أداة من الأدوات التى تقوم بدور فى تأمين حياة الطفل وصيانته من الأذى ويتوافق هذا مع ما سبق إيضاحه من أن المأثورات والممارسات تقوم بوظيفة تأمين سلامة الوالدة والمولود فى هذا الطقس .

وتمضى الداية تردد يجاوبها الحضور :

" الصلاه عليه الصلاه عليه

جبنا المولود وفرحنا بيه

يارينا يارينا يكبر ويبقى قدنا "[1] .

وتعبر كلمات الأغنية هنا عن مشاعر الفرح الغامر بقدوم المولود ، وتحمل الأمنيات له بأن يشب ويكبر ويصير فرداً صالحًا فى الجماعة ، ويسترعى الانتباه فى هذا النص أن الجماعة ترى أنها صاحبة المولود على حد قول الأغنية " جبنا المولود " ويكشف هذا عن مدى مساهمة الروح الجمعية فى الاحتفالات التى تخص الأفراد .

وفى ختام الحفل تغنى الداية ولحضور :

" الداية اللهم صل عليه

الحضور اللهم صل عليه

الداية يا قايمه بالسلامه

الحضور اللهم صل عليه

الداية الكعب لبيض محنى

الحضور اللهم صل عليه

الداية جينا نفاسك ياصبيه

الحضور اللهم صل عليه

الداية جت الحايب تهنى

الحضور اللهم صل عليه

---

١ - روت هذا النص داية بلبيس .

الدايـــــه رب البريـه يحمـى الصبيـه

الحـضـور الـلـهـم صـل عـلـيـه

الدايـــــه رب الصبيان يحمـى الجدعان

الحـضـور الـلـهـم صـل عـلـيـه

الدايـــــه رمـينـا الرق عـلى الـقـيـاس

الحـضـور الـلـهـم صـل عـلـيـه

الدايـــه يـــارب تمـم الـنـفـــاس

الحـضـور الـلـهـم صـل عـلـيـه [1]

وتصور هذه الأغنية مناسبة السبوع وما يجرى فيها من ممارسات ، كما تصور العادات والتقاليد الشعبية المرتبطة بهذه المناسبة الهامة ، فهى تبدأ بالصلاة على النبى وهو الاستهلال الدينى التقليدى لكثير من المأثورات الشعبية ، ثم تنتقل الأغنية إلى " الوالدة " فتناديها "ياقايمه بالسلامه " ، تفاؤلا وأملا فى فى أن تنهض سالمة ، وتصفها بأن كعبها الأبيض " محنى" أى مخضب بالحناء ، ويشير هذا الوصف إلى ما يقوم به بعض الناس من تزيين الوالدة يوم السبوع وكأنها العروس .

وتنتقل الأغنية بعد ذلك لتصور العادات الشعبية الخاصة بالسبوع فتقول ، وإن أهل الوالدة قد أتوها « بالنفاس » ، والنفاس هنا كناية عما يقدم فى هذه المناسبة من أطعمة تعين على تخطى هذه المرحلة الخطيرة التى تعقب الولادة والتى تكون فيها الوالدة منهكة ولديهم مثل يقول " اللى تاكليه فى نفاسك يقعد فى أساسك " ومعناه أن ما تتناوله الوالدة من أطعمة فى فترة النفاس يقوى من أساسها ويعوضها عما فقدته فى عملية الحمل والولادة .

ثم تتحول الأغنية إلى المولود فتتمنى له السعادة والحياة الطيبة ، والعلو والارتفاع وطول العمر ، وفى النهاية تتوجه الأغنية إلى الله أن يحفظ الوالدة والمولود والحضور ويصون الجماعة ، ثم تأتى النهاية وتعبر عنها الأغنية بعبارة " رمينا الرق على القياس " والرق هو أداة الإيقاع الشعبية المعروفة المصاحبة للأغنية و " القياس " هو الحصير الذى يفرش على الأرض ومعنى هذا قد ألقت بالرق على الأرض .إشارة إلى ختام هذا الجزء .

---

١ - روت هذا النص داية بلبيس .

وهكذا تصور الأغنية الشعبية تفاصيل طقس السبوع ، ومن الواضح أن هذه التفاصيل تدور حول هدف أساسى واحد هو ضمان سلامة المولود والوالدة ، المولود الذى سيصبح فرداً عاملاً فى المجتمع الشعبى والوالدة التى تقوم على تربية المولود من ناحية ، وإنجاب غيره من ناحية أخرى .

الأغنية الشعبية وجنس المولود

إذا كانت الأغنية الشعبية المصاحبة للاحتفال بسبوع المولود لم تميز بين المولود الذكر والمولود الأنثى ، فهناك من الأغنيات ما يكشف عن هذا التميز مؤكدة بذلك ما سبق الإشارة إليه فى الأمثال الشعبية .

تقول الأغنية التالية :

" لما قالوا دا ولد انشد ضهرى وانسند

وجابولى البيض مقشر وعليه السمن عام

ولما قالوا دى بنيه كركبولى البيت عليه

وجابولى البيض بقشره وبدال السمن ميه [1]

ترد الأغنية كما هو واضح على لسان أم ، وهى تصور ما حدث لها ، مرة حين ولدت ذكراً ، ومرة حين ولدت أنثى ، فتقول إنه فى المرة الأولى حين ولدت ذكراً ، ما أن أعلن البشير أنها وضعته ذكراً حتى دبت العافية فى أوصالها وقوى ظهرها واطمأن قلبها ، وجاءها أهل البيت بأطايب الطعام احتفاء بها وتكريما لها وتعبيراً عن سعادتهم بأنها ولدت ذكراً ، أما فى المرة الأخرى حين ولدت أنثى ، فإنه ما أن أعلن النذير أنها وضعتها أنثى حتى خارت قواها ، وتصورت بأن البيت قد انهدم فوق رأسها ، وأما أهل البيت فبمجرد سماعهم بأنها قد وضعت أنثى لم يجدوا أى رغبة فى تقديم الطعام لها كما ينبغى أن يقدم ، فالبيض قدم بقشره كما أنهم بخلوا عليها بتقديم السمن واستبدلوا به بالماء تعبيراً عن عدم رضائهم عنها وعدم تقبلهم للبنت التى ولدتها ، على أن الإنسان الشعبى بطبيعته المتفائلة التى تجعله فى النهاية يستسلم لما قدر له يعود ليرى خيراً فيما يراه الناس شراً نسمعه يقول عن ميلاد البنت :

" لما قالوا دى بُنيَّه قلت ياليله هنيّه

حَتَعجنلى وتخبزلى وتملالى البيت ميه "[2]

---

١ - روتها صفية عثمان بركات ، ست بيت ، القرين مركز أبو حماد - شرقية .

٢ - روتها آمنه خليل ، ست بيت ، من الهوابر مركز ديرب نجم - شرقية .

" لما قالوا دى بُنيّه قلت ياليله هنيّه

حتكنسلى وتفرشلى وتسبل توبى عليه "[1]

وهكذا يبدو الوجه الآخر للموقف من البنت ، يبدو وأكثر إشراقا وتقبلا ، وإن كان أحمد رشدى صالح فسر هذا الموقف على نحو آخر فيقول :

" ونجد فى أغانى الطفولة وخاصة فى النهنهات حصيلة التمييز بين الذكر والأنثى فالغالب عليها تفضيل الولد وإن كنا نجد أغانى تعكس الرأى المصطلح عليه فتضع الفتاة موضع التفضيل ، بيد أن هذه القلة من الأغانى لا تعبر عن الفكرة السائدة وأغلب الظن أنها أوجدت للتأسية أو الإغاظة أو توكيد الشئ بنقيضه " [2].

ويمكن القول أن ما ذهب إليه أحمد رشدى صالح صحيح من حيث قلة الأغانى التى تفضل البنت وإن عبرت هذه القلة من الأغانى عن مشاعر صادقة ، ذلك أن العلاقة بين الأم وابنتها تتسم فى الغالب بكثير من الود والحرارة ، وليس من المستبعد أن تفرح بمولدها بخاصة إن كانت قد سبق وأنجبت ذكوراً ، لكن مكانة الذكر هى الأرفع دون شك ومن هنا كانت الأغانى الشعبية التى تحتفى بقدمه أكثر .

تقول الأغنية :

" يا ولد يا ولد تَو طبلك ما ضرب

المدينه بيَضوها والغُزْ قامت عَلعرب .

" يا ولد لولاد ايجولك ينظرو حسنك وطولك

ينظرو شالك المقصب يا ترى مين جايبولك

اللى زعلت يوم ان جيت تم عليها زعلتها

تلبس القيد الحديد والحيه فى رقبتها

يوعدها بسبع بنات يقعد وعلى ركبتها

---

١ - روتها نوره محمد الفرارجى ، ست بيت من العدلية مركز بلبيس - شرقية .

٢ - أحمد رشدى صالح ، الأدب الشعبى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧١م ، ص ٢٥٨ .

٣ - روت هذا النص فية عثمان بركات ، ست بيت ، القرين مركز أبو حماد - شرقية .

واللى فرحت يوم ان جيت يتم عليها فرحتها

تلبس عقد اللولى والكردان فى رقبتها

يوعدها بسبع صبيان يقعدو على ركبتها "[1]

" يا مسعده يا مخلفه الصبيان

يا مجدده الأفراح فى كل أوان "[2]

وتصور هذه الأغانى أثر ميلاد الولد ووقعه على الجميع ، الأسرة ، والأم ، والجيران والمجتمع وهو كما يبدو وقع حاد يؤكد ما يتمتع به الولد من مكانة عالية فى نفوس الجميع ، فمولده يستثير كثيراً من المشاعر ، البهجة ، والاهتمام والحسد ، فما أن تدق الطبول معلنة مولد الولد حتى تنصب الزينة بالمدينة ، ويقوم الغز بالهجوم على العرب ، أما الأحباب من الأهل والجيران فيفرحون بمقدمه ، ويأتون ليمتعوا أبصارهم بالنظر إلى حسنه ، وأما الأعداء فتأكل الغيرة والحسد قلوبهم .

ويلاحظ أن الأغنية تدعو على الحساد بأن تحل عليهن المصائب ومن جملتها أن ينجبن عدداً كبيراً من البنات ، فى حين تدعو للأحباب الذين فرحوا بمولد الولد أن ينجبن عدداً كبيراً من الذكور الأمر الذى يبرز ويؤكد قيمة الذكر وقيمة العدد الكثير من الذرية « الذكور » .

ومع هذا توجد أغنية تستقبل مولد الولد الذكر بالحزن فتقول :

" لما قالوا دا غلام

قلت يا ليله ضلام

حاكبره وسمنه

وياخدوه منى النظام [3]

وتصور هذه الأغنية ما يتملك قلب والده من الخوف والحزن حين تعلم أنها وضعت مولوداً ذكراً على عكس ما جرت به العادة ، وهى تكشف عن أسباب خوفها وحزنها فتقول ، إنه لن

---

١ - روت هذا النص الراوية السابقة .

٢ - روت هذا النص مبروكه حسن على ، الهواير مركز ديرب نجم - شرقية .

٣ - روت هذا النص آمنه خليل ، ست بيت ، من الهواير مركز ديرب نجم - شرقية ، وقالت إن " النظام " هو الجهادية .

يأتيها من وراء مولده إلا الألم والحسرة ، ذلك أنهاستربيه حتى يكبر ويصير شابًا قويًا ثم تأخذه " السلطة " منها لترمى به إلى المهالك ، ويعكس هذا القول عمق الخوف من السلطة الذى استقر فى أعماق أبناء الشعب المصرى لطول ما قاسوا من ممارسات الظلم والاستغلال على أيدى المحتلين والحكومات المستبدة حيث كانت جموع الفلاحين تساق إلى أعمال السخرة خدمة لمصالح المستعمرين والمستغلين ، وكان الذكور هم الذين يلقون هذا المصير الذى جعل بعض الأمهات يشعرن بذلك الحزن حين يلدن الولد لأنهن يعرفن المصير الذى ينتظره .

الأغنية الشعبية واستيقاظ الطفل من النوم

تستقبل الأم طفلها وقد استيقظ من نومه بالغناء فتقول :

" صباح الخير من نص الليل

قبل ما يزقزق كل الطير

قبل ما يجينا جاموس حلاب

جايب معاه كل الخير

دنتي صباحك عندنا

احسن من المال والغني

أحسن من عشر جاموسات

يحلبو على قبة فرننا "(١)

" صباح الخير صبحنا

رز بلبن طبخنا

وفضلنا لما قمتي

كلنا وانشرحنا "(٢)

" صباح الخير صباحك

يرزقك ربك من بيض فراخك

كل يوم بيضتين "(٣)

---

١ - روت هذا النص صنع الله جاد ، مهندسة زراعية ، أم ، الزقازيق ، المساكن الجديدة .

٢ - روت هذا النص فوزية عبد السلام ، ست بيت ، القرين أبو حماد - شرقية .

٣ - روت هذا النص صفية عثمان بركات ، ست بيت ، القرين مركز أبو حماد - شرقية .

" صباحك صباحين

صباح التاجر الزين

اللى سدد دينه

ولا بقاش عليه دين "[1]

" صباح الخير بزياده

تمنع عين الحساده

والحسادة اللى تحسد

ملهاش عندنا حاجه "[2]

" صباح الخير من بدرى

ياعبد شد علمهرى

صباح الخير جانى

والجيه ماتخفانى

متحزم بالسلكى الفضه

ورامى القفطانى

وجانى يزوف

والملاية علكتوف

كنت فين ياسى " طارق "

كنت باحيى الضيوف

جانى كدا والشوشه تقطر ندا

يامه سوى الفطور

ياستو سوى الغدا "[3]

---

١ – روت هذا النص صفية عثمان بركات ، ست بيت ، القرين مركز أبو حماد – شرقية .

٢ – روت هذا النص الراوية السابقة .

٣ – روت هذا النص فاطمة محمد على ، جده ، من القرين مركز أبو حماد – شرقية .

حقا إن مثل هذه الأغانى تقال عند إستيقاظ الطفل من نومه ، ولكنها تصور مدى الحفاوة والحب والسعادة التى يستقبل بها الطفل من أهله ومن أمه خاصة حين يستقيظ من نومه ، ويمكن القول إن هذه الأغانى تقوم بتحقيق الإشباع العاطفى والنفسى للطفل إذ تعطيه الإحساس بأنه محبوب ومرغوب فيه ، وأنه مصدر سعادة وبهجة لذويه الأمر الذى يحقق له الاستقرار النفسى ، وهذا جانب مهم جداً فى حياة الطفل وفى تكوين شخصيته ، كما أنها تقوم بالتعبير عن مشاعر الأم والأهل تجاه الطفل ، وتصور الآمال والأحلام التى يعلقونها عليه، وما يرجون أن يكون عليه عندما يكبر وهى فى كل هذا إنما تبرز وتؤكد قيمة الطفل فى حياة أهله ، وتستغل الأغنية كثيراً من صور التعبير التى تكشف عن الرضا والحبور الذى تتوفر للأهل لدى رؤيتهم لطفلهم ، فمرآه عندهم أحسن من المال والغنى ، وصباحه رائق مشرق مثل صباح التاجر الشريف الذى سدد ديونه وأصبح هادئ النفس مرتاح الفؤاد لايخشى دائنيه ، وتنجح هذه الأغانى فى تصوير جو الصباح فى القرية بما يميزه عادة من شقشقة الطيور ، وحلب الحيوانات ، واليقظة المبكرة من الجميع ، كما تنجح فى تجسيد رؤية الأم ولدها وقد كبر، وما تخلعه عليه من الصفات التى تحب أن يتصف بها ، فتراه وقد صار فارسًا بهى الطلعة واسع الثراء ذا نخوة ومروءة ، يكرم الضيوف ويحتفى بهم ، وتعكس هذه الصورة قيم الفروسية والكرم التى يتحلى بها الشعب المصرى ، وهى تصور بجلاء روعة الحلم الذى تحمله الأم لابنها وما يحققه لها من سعادة .

الأغنية الشعبية وملاعبة الطفل

تقوم الأغنية الشعبية أداة تتوسل بها الأم لتسلية طفلها وملاعبته ، فتشبع بذلك حاجة هامة فى حياته ، فهو فى سنى عمره الأولى يأخذ فى التنبه إلى ما حوله ، ومحاولة التعرف على من حوله والتواصل مع المحيطين به ، وهو يكون فى هذه الحالة فى أمس الحاجة إلى من يعينه على تحقيق ذلك بالأسلوب المناسب لطبيعته فى هذه المرحلة من عمره ، والأغنية الشعبية من أفضل الأدوات التى تستعين بهاالأم فى تعاملها مع طفلها ، يقول أحمد رشدى صالح "وما من حادث أو فراغ فى حياة الطفل إلا وتملأه أمه بالأغانى ، والحواديت والمناجاة بالمنظومات " [1].

ذلك أن الأغنية بما يتوفر لها من عناصر الإيقاع والنغم تملك طاقة تأثير فائقة ، وحين تغنى الأم لطفلها فإنها لاتقوم بتسليته ومؤانسته ، والتعبير عن مساعرها وأحاسيسها نحوه فحسب، بل هى تقوم كذلك بالبوح بمكنونات نفسها والكشف عن همومها ومشاغلها تلقى بالضوء على جوانب من حياتها الأسرية ، يقول الدكتور حسين نصار : " وقد تنتهز الأم هذه الأغنية وتضمنها أموراً أخرى فى نفسها " [2] ، فالغناء يثير وجدانها ويفتح مغاليق نفسها ويستخرج مابداخلها من هموم وآلام ومن أحلام وأمنيات تدور حول حياتها وطفلها .

فإذا بكى الطفل غنت له أمه :

" قـولـة غـاء وقـولـة غـاء

مـلـت عـلـيـه الـدار رقـاق

قـولـة آى وقـولـة آى

مـلـت عـلـيـه الـدنـيـا ضـى "[3]

---

١ - أحمد رشدى صالح ، الأدب الشعبى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧١م ، ص ٢٥٥ .

٢ - الدكتور حسين نصار ، الشعر الشعبى العربى ، المكتبة الثقافية ، العدد ٦٠ ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٥٦ .

٣ - روت هذا النص عزيزة إبراهيم منصور ، ست بيت من قرية الهوابر مركز ديرب نجم - شرقية .

" مـــين الـــلـــى ضـــربـــك

مـــين الـــلـــى هـــانـــك

مين اللى قال على لسمر خالك

لسمر عبد أبوك والجيدين أخوالك[1]

يعد صياح الأطفال وجلبتهم فى البيت من مظاهر الحياة والسعادة العائلية ، وهم يقولون عن البيت الذى خلا من الأطفال ومن جلبتها " ساكت زى الجبانة " ،ويدعون عادة فيقولون " لا خلا ولا عدم " ، فبكاء الطفل حبيب إلى نفس أمه لأنه دليل وجوده .

تتخيل الأم ابنها بكى لإهانة لحقت به إذ سبه أحدهم فرماه بأن خاله عبد أسمر ، أى إنه ردئ الخال ، فتطيب خاطره وترد له اعتباره وتخبره بأنه كريم الخال ، وأن الأسمر هو عبد أبيه وهنا تبرز قيمة الخال والأصل الطيب وأثرها فى وجدان الإنسان الشعبى ، وتعكس الأغنية بقايا من الرواسب الإجتماعية القديمة تتمثل فى ذكرها العبيد الذين تزعم الأم لطفلها أنهم عبيد أبيه ، كما تصور الأغنية ارتباط اللون الأسود فى نظر الناس بمفهوم العبودية ، ويرجع هذا إلى ماساد زمننا من استرقاق السود على نطاق واسع حتى ارتبطت ظاهرة العبودية والاسترقاق باللون الأسود ، وصارت كلمة أسود أو أسمر مرادفة كلمة عبد ، وهكذا تصور الأغنية الشعبية المشاعر وتعكس القيم الاجتماعية التى سادت وتسود المجتمع الذى تعيش فيه ، وهى بهذا ترسم قسماته وملامحه إلى جانب قيامها بوظيفتها الأساسية وهى هنا تهدئة الطفل وتسليته .

فإذا جلس الطفل فى حجر أمه وأرسل الهمهمات الرقيقة الحلوة التى لا تكشف عن معنى محدد وإن كشفت عن سروره ، شبهت الأم هذه الأصوات الناعمة بهمهمة الحمام فتقول :

" حس الحمامه زامت ما بعرف ايه قالت

حس الحمامه بتزوم ما بعرف ايه بتقول

تقول مخازن ابويا مليانه رز وفول "[2]

---

١ - روت هذا النص عزيزة محمد على خاطر ، جدة من القرين مركز أبو حماد - شرقية .

٢ - روت هذا النص صفية عثمان بركات ، ست بيت من القرين مركز أبو حماد - شرقية .

ويزوم الحمام فى العادة عندما يلتف حول الحب ليلتقطه ، وفى هذا إشارة إلى الخير الذى تعيش فى ظله الأسرة ، وهكذا تجمع الأغنية فى لحظة بين صوتين ينبعثان من الإحساس بالسعادة ، سعادة الإحساس بوجود الطفل ، وسعادة الإحساس بوجود الخير .

وتغنى الأم لطفلها فتقول :

" نـــاغـــيـــلـــى وأنـــا غـــيـــلـــك

قـــبـــل عـــروســـتـــك مـــتـــجـــيـــلـــك

تـاخدك منى وتحرمنى دخلة منديلك [1]

" كـــلـــمـــنـــى واكـــلـــمـــك

قـــبـــل عـــروســـتـــك مـــتـــجـــيـــلـــك

تـاخـدك مـنـى وتحـرمـنـى دخـلـتـك " [2]

والأم هنا تقوم بتسلية طفلها والترويح عنه بالأغنية ، وهى فى الوقت ذاته تصور مايدور فى أعماقها من هواجس ، وما يطوف فى مخيلتها من رؤى ، فهى تحلم بيوم يكبر فيه طفلها ويصير شابا ويتزوج لكنها تخشى هذا اليوم فى نفس الوقت حين تأتى امرأة أخرى لتأخذ منها ابنها وتحرمها من قربة وعطفه ، وهى لهذا تتوجه إلى طفلها تطلب إليه أن يكثر من التحدث إليها والاستماع لها حتى تشبع نهمها إليه قبل أن يأتى اليوم الذى تفقده فيه ، وتكشف هذه الأغنية عن مدى تعلق الأم بابنها وحرصها على أن يبقى لها ، تماما مثلما فعلت الأمثال الشعبية من قبل .

وهذه أم أخرى تغنى لطفلها فتقول :

" هـــاى وهـــاى وهـــاى

يـــالـــلـــى مـــلـــيـــت الـــدنـــيـــا ضـــى

أنت خى وأنت بَى وأنت حشت الهم شوى "[3]

١- ، ٢ - روت هذه النصوص صفية عثمان بركات ، ست بيت من القرين مركز أبو حماد - شرقية .

٣ - روت هذا النص عزيزة محمد خاطر ، جده من القرين مركز أبو حماد - شرقية .

وتكشف الأغنية عن مدى إحساس الأم بالاكتفاء النفسى بعد إنجابها هذا الطفل ، فهو قد حل محل أخيها ، وأبيها ، بل هو أكثر من ذلك قد أزاح الهم عنها .

وتغنى إحدى الأمهات لطفلها فتقول :

" يـــا عـــطـــيـــة مــــن صـــبـــر

بـــعـــد شـــيـــب وكـــبـــر

يـــامـــا قـــالـــو لأمـــك

يـــا مـــعـــصـــى يـــا دكـــر "[1]

تكشف الأغنية عن عمق إحساس الأم بأثر ابنها فى حياتها ، إذ جاءها بعد صبر طويل وشوق زائد ، وبعد أن تعرضت للمهانة ، والتعريض بأنوثتها إذا رميت بالعقم والذكورة ، فكان مولده بمثابة رد الاعتبار لها ولأنوثتها ، وكان إنقاذاً لحياتها الزوجية التى كانت مهددة بالانهيار ، وتكشف هذه الأغنية عن محنة الزوجة التى لا تنجب ، وعما تعانيه من ضغوط اجتماعية ونفسية كما تكشف بالتالى عن أهمية الإنجاب وخطورته فى حياة المرأة وتفسر رغبتها القوية فى الإكثار من الذرية .

---

١ - روت هذا النص عزيزة محمد خاطر ، جده من القرين مركز أبو حماد - شرقية .

الأغنية الشعبية والألعاب التى يمارسها الأطفال

تقوم الأغنية الشعبية بدور هام فى الألعاب التى يمارسها الأطفال ، وإذا كان قسم من ألعاب الأطفال هو عملية تمثيل ومحاكاة لما يدور حولهم فى عالم الكبار من أحداث ووقائع ، فإن الأغانى المصاحبة لذلك القسم من الألعاب تصور وتعكس كذلك ما يجرى فى ذلك العالم، تقول الدكتورة فلورنس بودر ميكر " يتركز اللعب التمثيلى عند الأطفال عادة حول نشاط الأشخاص الذين يعيشون حولهم ويكون آباؤهم وأمهاتهم نماذجهم الأولى ، ولذا فهم يلعبون بما يقوم به هؤلاء " [1].

يقول الدكتور أحمد مرسى عن أغانى ألعاب الأطفال " ويمكننا أن نقسم هذه الأغانى إلى قسمين ، القسم الأول لا يرتبط بلعبة ذات كيان محدد وإنما تصلح لمصاحبة الحركة ... أما القسم الثانى فهو الذى يعتمد اللعب فيه على تمثيلية يشترك فيها جميع اللاعبين واللاعبات ، وأشهر ألعاب هذا النوع ما يعرف عند الفتيات باسم لعبة الغراب النوحى ... والجدير بالذكر هنا أنّ كثيراً من الدراسين قد حاولوا تفسير الرموز التى تحفل أغانى الأطفال بها ولكن الأمر ظل مجرد محاولات [2].

والواقع أن لعبة الغراب النوحى لا تقتصر على الفتيات وإنما يشارك فيها الجنسان ، وهى تجرى على النحو التالى ، تقف صبية يمسك بذيل ثوبها صف من الصبية الآخرين ، ويقف فى مواجهتها صبى منفرد ثم يدور بينهما الحوار التالى :

الصبى أنا الغراب النوحى النوحى ، أخطف واودى على سطوحى على سطوحى.

الصبية أنا أمهم واحاديهم واداديهم ، وإن عشت اربيهم اربيهم ، وإن مت ضربه تقصف رقبيهم على بعضيهم .

الصبى كاك كاك

الصبيه بسى مالك يا غراب

الصبى بدى الحلوه اللوليه

الصبيه خش نقى الصبيه

---

١ - الدكتورة فلورنس بودر ميكر ، مرشد الآباء والأمهات ، ترجمة محمد محمد عبد القادر ، عفاف فؤاد ، الألف كتاب ، العدد ٨٥ ، ص ١٧٩ .

٢ - الدكتور أحمد مرسى ، الأغنية الشعبية ، المكتبة الثقافية ، العدد ٢٥٤ ، ص ٥٨ .

ثم يقوم الصبى « الغراب » بالإغارة على الصغار لاختطاف واحد منهم ، فتتصدى له الأم باسطة ذراعيها كأنهما جناحان تحمى بهما صغارها من شر الغراب ، وتصيح بصوت مرتفع «حدى حدى » ، ويستمر الصراع بين الغراب والأم إلى أن يتمكن الغراب من اختطاف أحد الصغار وفى العادة يكون آخر الصغار ، ثم يذهب به فيخفيه ويعود ليعاود الكرة ، وهكذا يتخطف " الغراب " صغار الأم واحداً تلو الآخر حتى لا يتبقى لها منهم سوى ابنة واحدة ، وعند هذا تفر بها الأم من ساحة المعركة ويتبعها الأطفال ، ويردد الجميع الحوار التالى :

الأطفال	مين يغسلى
الأم	بنتى الحيله
الأطفال	مين يطبخلى
الأم	بنتى الحيلة
الأطفال	مين يعجنلى
الأم	بنتى الحيله
الأطفال	مين يخبزلى
الأم	بنتى الحيله[1]

ويمكن القول إن هذه اللعبة هى تمثيل للصراع بين الحياة والموت ، الحياة ممثلة فى الأم وأبنائها وما يعنيه هذا من الخصوبة والتكاثر ، والموت ممثل فى الغراب الذى يرتبط فى التراث الشعبى بالشؤم والخراب والبين ، الذى هو الموت بعينه بالنسبة لصغار الطيور عند الفلاحين وهم يقولون " أول بيضه للغراب " إذا مات وليدهم الأول ، يعنون أن الغراب اختطف أول بيضة للطائر ، وهو الذى يتخطف الأرواح أو الأبناء فى هذه اللعبة ، ويسترعى الانتباه فى هذه اللعبة أن الأم لديها عدد كبير من الأبناء وأن هذا كان سبيلها لمواجهة الموت الذى كان يتخطف أبناءها واحداً بعد الآخر ، ويعكس هذا بجلاء ما يقول به المثل الشعبى " ما تستكترشى مالك على الزمن ولا عيالك على الموت " ، ويفسر هذا رغبة الأمهات عادة فى إنجاب عدد كبير من الأبناء ، كما يسترعى الانتباه ما تقوم به الأم فى النهاية من الهروب بالابنة الوحيدة التى

---

١ - شاهد الباحث تلك اللعبة بنفسه فى قرية القرين مركز أبو حماد - شرقية .

بقيت لها من الموت ، وما يكشف عنه الحوار فى الجزء الأخير من اللعبة من أهمية البنت فى حياة أمها ، وما تقوم به من مساعدتها فى أعباء البيت التى تحملها معها ، الأمر الذى يؤكد ما سبق قوله من أن الأم قد تحرص على أن يكون لها بنت أو أكثر ، هذا بالإضافة إلى بروز قيمة الأم والخصوبة بحيث صارتا مرادفا للحياة ذاتها .

ويمكننا أن نلخص وجهة نظر الجماعة الشعبية إلى الإنجاب والذرية من خلال الأغنية الشعبية المرتبطة بالإنجاب فيما يلى :

- أن الخصوبة والقدرة على إنجاب الذرية الكثيرة هى من أهم مقومات الأنثى التى تكسبها الحظوة عند الزواج .

- أن الوالدة تتمتع بمكانة عالية فى الأسرة وخاصة إن هى أنجبت ذكراً .

- أن سلامة الوالدة والمولود من الأمور الهامة ويبدو الحرص عليهما فى جميع الممارسات الخاصة بالإنجاب ، وتنهض الكلمة بدور هام فى هذا المجال .

- أن وجود الذرية يحقق الإشباع والرضا النفسى للأهل ويوفر لهم السعادة .

- أن كثرة الذرية أمر مرغوب فيه ويحث عليه .

- أن الخوف من موت الأطفال يدفع إلى الإكثار من الإنجاب لمغالبة الموت .

- أن الولد الذكر يتمتع بمكانة تفوق مكانة الأنثى ، وينعكس أثر مولده على كل من حوله، أمه وأسرته ومجتمعه بشكل قوى .

- أن البنت تتمتع بمكانة خاصة لدى أمها على الرغم من انخفاض مكانتها بالنسبة للولد ، ويرجع ذلك إلى ما تقوم به من مساعدتها فى النهوض بأعباء البيت .

ويلاحظ أن هذه الأبعاد تتطابق مع تلك الأبعاد التى كشفت عنها الأمثال الشعبية من قبل، الأمر الذى يوضح مدى عمقها وقوة تأثيرها فى نفوس أبناء الشعب المصرى .

الفصل الثالث
الدعاء والإنجاب والذرية

الدعاء بالإيجاب « الدعاء له »

- الدعاء للعروس بالإنجاب .
- الدعاء وتأخر الحمل .
- الدعاء وحالة الحمل .
- الدعاء والولادة .
- الدعاء بعد الوضع .
- الدعاء للأم في أبنائها .

الدعاء والذرية والدعاء بالسلب

- الدعاء بعدم الحمل .
- الدعاء على الحامل .

الدعاء والإنجاب والذرية

الدعاء هو صيغة قولية يرسلها الإنسان معبراً بها عن حالة شعورية تعتريه في موقف معين ، وهي تحمل رغبة أو أمنية يرجو تحقيقها بهدف إحداث تأثير في الموقف ، أو في إنسان بالإيجاب أو بالسلب بحسب طبيعة الحالة الشعورية للشخص الذى ينطق بالدعاء .

ويتوسل الداعي عادة لكي تستجاب الدعوة بمن لهم القدرة الغيبية على تحقيق الدعوة ، فهو يستعين ويتوسل بالله ، وبالرسول ، وبأولياء الله ، والدعاء في حالة الإيجاب يكون " دعاء للشخص " وفي حالة السلب يكون " دعاء عليه " .

والدعاء من أكثر الصيغ القولية جريانا على الألسنة ، يرسله الكبير والصغير ، المرأة والرجل ، في كل الأوقات والأحوال والمناسبات ، يقول الدكتور سيد عويس : " فنحن شعب ندعو كثيراً ، ندعو الله ، وندعو الناس لكي يدعوا لنا الله ، ندعو للأحياء كما ندعو للأموات على السواء ، ونحن ندعو في كل الأوقات ، في ساعات النهار أو ساعات الليل ، ندعو حين نفرح ، وعندما نغني ، وندعو حين نحزن ، وندعو عندما ننفرد بأنفسنا ، كما ندعو عندما نكون مع الآخرين "[1].

وللدعاء - له أو عليه - خطره عند العامه ، فالواحد منهم يحسب للدعوة حسابها ، فهو يطلبها ويسعى إليها بالإيجاب ، فتسمع الواحد منهم يحض الآخر على أن يفوز بدعاء صالح من الناس فيقول له « خليه يدعيلك » ، وهو يتوقاها ويخشاها بالسلب ، فتسمع الواحد منهم يحذر الآخر من شر دعاء واحد أو واحدة عليه فيقول له " متستدعهشي أو متستدعيهاش عليك " ، ويقول المثل الشعبي " بات مظلوم ولا تبات ظالم " وذلك خوفا من دعوة المظلوم ، وكما تخشى دعوة المظلوم تخشى كذلك دعوة الصالح ، والأم ، كما أن هناك أوقاتا يستحب فيها الدعاء مثل ، ليلة القدر ، وليلة النصف من شهر شعبان ، وأيام الأعياد والمواسم الدينية، خاصة موسم الحج ، وأوقات الأذان ، وفي الصلاة ، وفي وقت السحر ، كما أن هناك أماكن يكون الدعاء فيها أقرب إلى الاستجابة ، وأفعل في التأثير ، أهمها جوار الكعبة ، فوق جبل عرفات ، عند قبر النبي ، المساجد ودور العبادة ، مزارات الأولياء .

---

١ - الدكتور سيد عويس ، حديث عن المرأة المصرية المعاصرة ، مطبعة أطلس ، ١٩٧٧م ، ص ٢٣٤ .

ويمكن اعتبار الدعاء شكلا من أشكال التعبير الأدبى الشعبى ، فهو يصور ويعبر عن حالة شعورية إنسانية حادة ، ويستهدف التوصيل والتأثير فى الأحوال وهو يتوسل بالكلمة باعتبارها قوة قادرة على التأثير والفعل وهو جار ومتداول على ألسنة العامة ، ومن هنا كان الاهتمام لجمع الأدعية المرتبطة بموضوع الإنجاب لتستكمل الصورة من خلال جميع أشكال التعبير الشعبى الأدبى .

" الدعاء بالإيجاب " " الدعاء له "

" الدعاء للعروس بالإنجاب "

يدعون للعروس قائلين : -

" ربنا يجعلك سجره تطرح وتملا المطرح "

" ربنا يجعل منك لعمّاره ولتمّاره "

" اتعمرى وتمرى "

" يغلبك بالمال وتغلبيه بخلفة الصبيان "

" عقبال مَنْجيلك فى عوضك "

" عقبال منجلك فى سبوعك "

" عقبال منشرب مُغَاتك "

ويعد الدعاء هنا ركنا من أركان مناسبة الزواج وسمة من أبرز سماتها ، وهو يعكس مدى الاهتمام الشعبى بأمر الإنجاب والذرية كما يصور أبعاد النظرة الشعبية إلى المرأة وإلى وظيفتها ودورها فى الحياة ، وإلى العلاقة الزوجية والهدف منها ، ويلاحظ أن ذلك الدعاء موجه فى معظمه إلى العروس ، وأنه يحمل الرغبة والأمل فى أن تكون خصبة مثمرة كالشجرة الخضراء القوية المثمرة ، فتثمر وتملأ المكان بثمرها تقول الدكتورة نبيلة إبراهيم ".وأهم ما يعزز مركز المرأة فى بيت زوجها بعد أن تختار وفقا للقيم الاجتماعية التى اصطلح عليها المجتمع الشعبى إنجابها للأبناء وللبنين منهم بصفة خاصة ، ولهذا فهم يدعون للعروس ليلة زفافها بقولهم " ربنا يجعلك شجرة تطرح وتملأ المطرح " فكما أن الشجرة تتوقف أهميتها على ما تقدمه من ثمر طيب كذلك تتوقف قيمة المرأة على قدرتها على الإنجاب [1].

---

١ - الدكتور نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير فى الأدب الشعبى، الطبعة الثانية ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ص ٢٢٨ .

فإنجاب الذرية هو الدور الأساسى للمرأة والهدف الأول من الزواج ، ومن المرأة يكون الإثمار والإعمار ، وهذا أمر جدير بالالتفات إليه فتصوير المرأة فى هذه الأدعية على أنها أصل التكاثر والإعمار هو إعلاء لشأنها ما بعده إعلاء ، وهو لهذا دعوة قوية لها لأن تنجب وتكثر من الإنجاب منذ اليوم الأول فى حياتها الزوجية ، وإذا كان دور المرأة الأكبر كما تصوره تلك الأدعية هو الإنجاب فإن دور الرجل كما تصوره هو توفير المال اللازم لبناء حياة الأسرة على أساس قوى من الكفاية التى توفر لكل فرد من أفراد الأسرة ما يحتاج إليه ليحيا حياة كريمة ، وإيراد الأمر على هذا النحو يوحى بأهمية المال وضرورة توفره فى حياة الأسرة بالإضافة إلى وجود الأبناء ، ويلاحظ فى الدعاء " يغلبك بالمال وتغلبيه بخلفة الصبيان " أن طلب المال قد تقدم على طلب الذرية ، كما تقدم ذكر المال على ذكر البنين فى الآية الكريمة " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " .

وهكذا يعكس الدعاء الاهتمام الشعبى الفائق بأمر الإنجاب ، والإلحاح عليه منذ اليوم الأول من أيام الحياة الزوجية ، كما يصور نظرة المجتمع إلى المرأة وإلى دورها فى الحياة الزوجية الذى يتمثل فى إنجاب العدد الكبير من الذرية التى يعمر بها المكان .

" الدعاء وتأخر الحمل "

إذا لم تظهر أمارات الحمل على الزوجة وتأخر حملها دفعهم هذا إلى توجيه الأدعية التالية إليها "

ربنا يفك عاقتك "

" ربنا يجبر بخاطرك ويعوض عليكى عوض الصابرين "

" متموتيش بشوقهم "

" متموتيش بحصرتهم "

" ربنا يرضيكى ويطعمك من بطنك "

" ربنا ميِحْرِمْكيش وتشيلى على كتفك زى الصبايا "

وتصور أدعيتهم هذه مدى إحساساهم بمحنة المرأة التى لم تحمل ، ومدى تعاطفهم معها ، كما تلقى بالضوء على ما يدور فى أعماقها من مشاعر الشوق والحسرة والانكسار .

ويلاحظ أنهم يرون المرأة التى لم تحمل « معاقة » قدرتها على الإنجاب بسبب ما ، لهذا يدعون الله أن يفك ويزيل ذلك العائق ، ويؤكد هذا القول أن المرأة عندهم هى بطبيعتها قادرة على الإنجاب ، ويعد غير ذلك من الظواهر الشاذة ، ولذلك فإنه ليس غريبا أن يعبر الإنسان الشعبى عن مثل تلك المرأة بأنها " متعوقة " ، وهم فى العادة يلجأون إلى ممارسات كثيرة خاصة باستجلاب الحمل وقد سبق ذكرها ، وتصف الأدعية مثل تلك المرأة كذلك بأنها "محرومة " " مكسورة الخاطر " والعبارتان تكشفان فى صدق عن الوضع المهين الذى تعيش فيه المرأة التى لم تنجب ومما يسترعى النظر فى هذه الأدعية الدعاء الذى يقول " ربنا يرضيكى ويطعمك من بطنك " وهو تعبير مجازى تجاوز العلاقة المباشرة بين الأم والطفل إلى علاقة أخرى غير مباشرة ولكنها مهمة للغاية فى وضع المرأة وكيانها ، فالابن سيكون مصدر إطعام للأم ، وقد يكون معنى هذا أن هذا الابن الوليد الذى يكون سببا فى حياتها في البيت ، وأيًا ما كان الأمر فإنه يؤكد أهمية الولد وأثره البالغ فى حياة أمه ، تلك المرأة التى يعد الإنجاب بحسب هذا المعنى عملها الأساسى الذى تعيش من ورائه .

الدعاء وحالة الحمل

تسهم الأدعية فى التعبير عن قلق الجماعة إزاء حالة الحمل حين يحدث ، فهم عادة يخشون مضاعفات الحمل ويحرصون ويتمنون أن تتم الولادة على خير فيروحون رددون على مسامع الحامل

" ربنا يتمملك على خير "

" ربنا يجبرك فى أوانك "[1].

---

١ - قد يحدث أن لاتكمل الحامل فترة حملها وتنزل جنينها قبل أوانه " تجهض " ، وهم يقولون عمن أجهضت " سِقْطِت " و " رَمِت " و " طرحت " ، ويقولون للجنين الذى أجهض " سَقْط " و " طرْح " و " رمه " .

وهم يرون فى الإجهاض حادثًا أليمًا للمرأة من الناحية الصحية فيقولون " ولادة كل يوم ولاسقط كل سنة " ويعنون بهذا أن مضاعفات وأخطار الإجهاض على صحة الأم تكون أضعاف مضاعفات وأخطار الولادة ولهذا فهم يخشون كثيراً من حالة الإجهاض ويعملون على ألا تحدث ، فاذا حدث الإجهاض لأول مرة قالوا : « متقولوش لابوه ايده فى ايد اخوه » أى أنه لاداعى لإزعاج الزوج وإخباره بحادث الإجهاض وفقده للجنين فسرعان ما ستحمل زوجته مرة ثانية وتلد فلا يكون هناك فاصل زمنى يشعر بطوله بين الجنين الذى فقد والوليد الآتى فكأنهما يمسك كل منهما بيد الآخر ولعل فى هذه النظرة قدر من التفاؤل والأمل فى حمل سليم قادم وقريب . =

. . . .

= وهم يتصرفون حيال " السقط " بحسب عمره ، فإن كان دون الشهر الرابع أخذوه فنظفوه ، وملحوه ، واحتفظوا به " سواب لله " " لتنفك " عليه " المكبوسة " . سيرد هذا الأمر بالتفصيل فى مكان آخر - أما إذا نزل بعد الشهر الرابع فإنهم " يغسلونه " و " يكفنونه " و " يسمونه " { يطلقون عليه اسم " محمد " إن كان ولداً ، " فاطمة " إن كانت بنتا ، أو " منسى " و " منسية " ويلاحظ أن هناك رأيًا يقول أن الروح تنفخ فى الجنين بعد الشهر الرابع ولهذا فهم يسمون الجنين الذى ينزل بعد الشهر الرابع لأنه قد صار إنسانًا بعد أن دبت فيه الروح ، واستحق بذلك أن يسمى . و " يدفنونه " فى طاقة أو شق فى جدار البيت ، وربما كان لهذه العادة علاقة بالاعتقاد فى أن روح الجهيض يمكن أن تظل إلى جوار جسده فى المكان الذى يوجد فيه وأنها يمكن أن تعود فى حمل آخر جديد وقريب على حد قول المثل السابق " متقولوش لابوه ايده فى ايد أخوه " يقول جيمس فريزر " فالبشناوين يدفنون الأطفال الموتى عند عتبة البيت ، معتقدين بذلك أن فى هذا ارتداد الروح إلى الأم، وتنتشر هذه العادة فى حى " كالجارا " حيث يدفن جسد الطفل أمام الباب الخلفى ، وفيما يختص بالهنود الشماليين بصفة عامة فإننا نقرأ أن الطفل عندما يموت يدفن عادة تحت عتبة البيت أن الناس يعتقدون أن روح الطفل ستولد فى الأسرة مرة أخرى عندما يسير الوالدان على قبره كل يوم " { سير جمس فريزر ، الفولكلور فى العهد القديم ، الجزء الثانى ، ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ٨٢ .

إذا تكرر حدوث الإجهاض لجأوا إلى ضروب من الممارسات التى تستهدف تأمين الحمل وأشهر هذه الممارسات هى " الصُلحة " ، والصلحة هى إجراء مصالحة بين الزوجة التى يتكرر " سقوطها " وبين " أخت " زوجها التى " تحت الأرض " ، والتى يعتقدون أنها " ترفصها " فى بطنها فتسقط حملها وذلك بسبب غضبها عليها أو غيرتها منها ، وتتم عملية " لصلحة " على يد " شيخه " مختصة بتحضير " الأخت " أو " القرينة " بواسطة طقوس خاصة فإذا ما حضرت الأخت أو القرينة تكلمت على لسانها ، فأخبرت عن أسباب سلوكها العدائى تجاه الزوجة ، وأملت شروطها للصلح ، فإن أقرت الزوجة بذنبها واعتذرت عنه وقبلت بالشروط صفحت عنها وتم الصلح .

ولقد اتيح للباحث أن يشهد إجراء عملية " صلحه " تمت على النحو التالى :

فى البداية سألت " الشيخة { الشيخة تدعى زينب محمد السيد ، عمرها ٦٠ سنة تقريبا ، مقيمة بحى السبخة بمدينة الزقازيق ، وقد نوه الباحث بما أحاط بهذه الواقعة من ظروف فى المقدمة } ، التى جاءت =

. . . .

= لتحضر أخت زوجها عما يحدث لها فأخبرتها أنها " تسقط " بشكل متكرر بعد ولادة طفلة عمرها ست سنوات ، فسألتها الشيخة وفين السقط الأخير ؟ فأخبرتها الزوجة بأنها لا تحتفظ به ، وأنها عادة ما تلقى بكل شئ فى دورة المياه فطلبت الشيخة إلى الزوجة إحضار ماء ورد ، وفحم ، وثلاث بيضات مسلوقة ، وحلوى طحينية ، عيش وملح من البيت .

وقبل أن تبدأ فى طقوس تحضير القرينة أخبرت الزوجة والزوج أن التى ستحضر عليها هى فى البداية ليست قرينة وإنما هى واحدة أخرى ستقوم بـ « رد دينهما » ثم تنصرف ومن بعدها تحضر القرينة .

طقوس تحضير القرينة

جلست الشيخة على الأرض وأجلست الزوجة والزوج قبالتها وأشعلت النار فى الفحم ثم ألقت فيها البخور فتصاعد الدخان فطلبت إلى الزوجة أن تقف وتستقبل البخور من أسفل ففعلت ، وراحت الشيخة تردد أثناء ذلك " الفاتحة لسيدنا النبى ، وأحباب النبى ، وأصحاب النبى ، طلّقت البخور صل على بهى النور ، النبى حرم ما احترم ، وانشق الشمس مع القمر ، خد والدخان وادونى البرهان ، بحق النبى عليه السلام ، الأول صحتها والاخر صحتها ، الأول ربنا يصلح لها الحال والآخر ربنا يصلح لها الحال ، الأول أختهم والآخر أختهم ، الأول أخت محمد والآخر أخت محمد { محمد هو اسم الزوج الذى كانت تقوم بتحضير قرينته } الأول عوض والآخر عوض ، الأول الشّفه والآخر الشفه ، عاشق جمال النبى يصلى عليه .

بعد ذلك طلبت " أثَر للزوج وأثَر للزوجة " أخذتهما وراحت تقلبهما وتقيسهما بأصابعها ، وسألت عن اسم الزوج واسم أمه ، واسم الزوجة واسم أمها ، ثم راحت تردد " الفاتحة لسيدنا النبى وأحباب النبى ، وأصحاب النبى ، الفاتحة للقطب المتولى وعموم ما يولى ، وأصحاب الطريق كل واحد باسمه ، وتلت الفاتحة ، ثم راحت تخبط الأرض بكفيها وقدميها ، وتتمتم تمتمات غير مفهومة ، وبعد قليل تكلمت بصوت مغاير لصوتها المعتاد وطلبت إلى الزوجة أن تضع يدها على الأثر الملقى أمامها على الأرض والخاص بها وأن تردد بعدها " استغفر الله العظيم ، عزمت على أنى لا أعود للمعاصى أبداً ، ولا اختلفشى عن دين الإسلام ، أشهد لااله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمد حبيبى رسول الله ، رضيت بالله تعالى ربًا ، والإسلام دينا ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا . - كررت هذه الصيغة ثلاث مرات - .

ثم خلطت ماء الورد بقدر من الماء المحلى بالسكر وقامت برشه على حوائط الحجرة وأخذت قدراً منه فى فمها و " بَخّتْه " فى وجه الزوجة وقالت " اقعدوا بالعافية " ثم صمتت بعض الوقت وأسبلت غطاء رأسها =

. . . .

= على وجهها وأسندت ظهرها إلى الحائط وراحت تتلوى وترتعد ،وتهمهم متلاحقة الأنفاس ثم خرج صوتها رفيعًا مغايراً للصوت الأول وقالت " مش أختك يا حبيبتى مش أختك " ، واستمرت تتلوى وتهمهم ثم تكلمت بصوت مغاير وقالت " السلام عليكم " وراحت تخاطب الزوجة فى حدة قائلة " انتى عيزانى ليه ياوحشه ، اضربك انزلك الأرض " ثم أخذت تصرخ وتردد أنها أخت الزوج وأنها تكره الزوجة لأنها تحب أخاها وتغار عليه منها ، وأنها هى التى تتسبب فى إجهاضها كل مرة ، وطلبت إلى الزوجة أن تنام بعيداً عن الزوج ، وإذا اقتضى الأمر أن يجتمعا لقضاء حاجتهما الجنسية فعليها أن تبتعد عنه بعد ذلك ، ثم قالت " مطلوب طرح غشيم وتحويطه وقفل ينقفل ورا ضهرها ، وعايزين نحضر ميدان [الميدان يعنى الزار] وبعدين نبقى ندبح الديك والجوز الحمام وناخد من دمه ونشوف لنا طرح ونلبسه بين دم وبين منام ، والعتبه ترشيها بالميه والملح وعرق حلاوة ترشيها وتمسحيها ، ونشيل القفل أول الدم ما ينقطع ، وفى تالت شهر تحضرينى ، وعايزين شمعه تنقاد على حرف الكِبّينيه وقريب ماتيجو تنامو تنحط فى زبديه لبن ورغيف عيش وملح ، ومحدش يدخل الكبينيه بعد كده ، وترشى تلات جمع فى الكبينيه سنبل وخزامه وحنه ومّوَرد وسكر " . ثم طلبت العيش والملح وراحت تردد " ناكل عيش وملح بالهدى والرضا والسماح - كررتها ثلاث مرات - ثم طلبت إلى الزوجة أن تطعمها بيدها ثلاث لقمات وكذلك أطعمت الزوج ، وكذلك فعلت بالبيض والحلوى ، وبعد أن انتهت من ذلك قالت " عايزين تحويطه من واحد فقى متكنشى سُفْلى ، وبعدين لما نبقى نحبل نبقى ندبح الكلب الصغير ، وناخد ديله ، وضوافره وودانه ، ونعملهم فى كيس تحت باط العيل وما سكه كفرى تبحسو عنها " . وأخيراً قالت " اقعدوا بالعافيه ، خلو الأترات تروح عند الشيخه علشان هيه اللى تعرف بالحاجة اللى حتندبح لأنى أنا معرفنشى لأنى أنا أختك - مخاطبة الزوج " ثم راحت تهتز بعنف وتصرخ " هوه هوه هوه الله ثم سكنت وبعد قليل كشفت عن وجهها ، ثم نهضت وهى تتصبب عرقا ، ثم جلست على مقعد وسألت الزوج والزوجة عما قالته لهما القرينة .

تبرز هذه الممارسات الاعتقاد الشعبى الراسخ فى وجود عالم آخر خفى مناظر للعالم الظاهر هو عالم " تحت الأرض " .

وعندهم أن التناظر بين العالمين يصل إلى حد أن لكل فرد من أفراد العالم الظاهر " قرينًا " من العالم الخفى غير أنه مخالف له فى الجنس ، فقرين الذكر أنثى " أخت " ، وقرين الأنثى ذكر " أخ " ، وهم يعتقدون أن ما يقع للواحد من العالم المنظور وقع لقرينه من العالم الخفى فإن تزوج الذكر تزوجت " أخته " فإذا ما حملت زوجته حملت " أخته " ، فإن أنجبت ذكراً أنجبت أخته أنثى تكون " قرينة " وليده ، يقول الدكتور =

. . . .

= محمد الجوهرى " ... ولكننا نعرف أن شخصية القرين والقرينة اليوم تحمل كذلك معنى الروح الملازم للإنسان لايفارقه لحظة فى نوم أو يقظة ، وفكرة الملازمة هذه تذكرنا على الفور بمفهوم " الكا " عند المصريين القدماء ، وتحفل الآثار الفرعونية بالكثير من الرسوم والشواهد المختلفة التى توضح بجلاء كيف أن الإنسان وقرينه " الكا " كانا يسلكان نفس السلوك ، ويأتيان نفس الأفعال ، ويلقيان نفس المصير " { الدكتور محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ، دراسة فى الأنثروبولوجيا الثقافية ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥ ، دار المعارف ، ص ٢٠٠ } .

وتلعب " الأخت" أو " القرينة " دوراً هامًا فى المعتقدات والممارسات الشعبية المرتبطة بالحمل والولادة ، بل وفى العلاقة بين الزوج والزوجة ، فهى عندهم طرف ثالث فى العلاقة الزوجية . تقول إحدى الرواة أن القرينة مسئولة عن الصورة التى تبدو بها الزوجة فى نظر زوجها جميلة أم قبيحة فقد تتمثل فى صورتها { الراوية زينه كيلانى ، فلاحة من صفطية مركز الزقازيق } ، وتصور طقوس " الصلحه " على النحو الذي جرت به ، ما يعتقدونه من تأثير القرينه فى العلاقة الزوجية فـ " الأخت " تطلب إلى الزوجة الابتعاد عن زوجها أثناء النوم وتخبرها أنها هى التى تسقط الحمل بسبب كراهيتها للزوجة وغيرتها منها ، كما ينعكس ذلك الاعتقاد فى كثير من أقوالهم وأفعالهم ، فهم يقولون عن الشخص العصبى غير المتزن " عليه أخته " ، وإذا سقط صغيرهم على الأرض هتفوا " اسم الله على أختك قبلك " أو " وقعت على أحسن منك " ، يقول الأستاذ أحمد أمين "يعتقد عوام الشعب أن كل إنسان له قرينه إما ذكر أو أنثى ، ولذلك يقولون عند تزحلقه على الأرض " اسم الله عليك وعلى أختك " وكذلك " وقعت على أحسن منك " { أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، الطبعة الأولى ، ص ٣٢٤ } .

يؤكد هذا اعتقادهم فى التناظر الكامل بين العالمين ، فحين وقع وليدهم وقعت " أخته " فى الوقت ذاته ، ويكشف هذا القول عن جانب آخر من جوانب ذلك المعتقد وهو إيمانهم بقدرة ذلك العالم الخفى على التأثير فى العالم المنظور - كما سبق القول - والحاق الأذى بأفراده ، ومن هنا كانت كثير من ممارساتهم هى محاولات استرضاء واتقاء شر أهل ذلك العالم ، يبدو هذا بجلاء فى قولهم " اسم الله على أختك قبلك " ، فهم يقدمون " أخته " التى تحت الأرض عليه ، وذلك استرضاء منهم لآلها ، واتقاءً لشرهم وهكذا يقوم ذلك المعتقد أساسًا لكثير من الممارسات المرتبطة بسبوع المولود وما تتصل به تلك الممارسات التى تستهدف الحفاظ على حياته فى المرحلة الأولى من عمره والتى يكون فيها عرضه لأخطار الأرواح الى تحيط به من كل جانب .

ويسترعى الانتباه فى طقوس " الصلحه " ما يلى :

. . . .

= - قيام الكلمة بدور هام فى الطقس ، فهى قرينة الفعل ، وهى مصوغة بشكل فنى ، موقعة ومسجوعة ، يستفيد صائغها من القيم والإيحاءات المرتبطة بـ " الصلاة على النبى ، المقاطع القرآنية ، والتوسلات " ، ويبرز التركيز على الكلمات ذات الدلالة بالنسبة للموقف الذى يجرى فيه الطقس " الصحة ، صلاح الحال ، العوض ، الشفاء ، الهدى ، السماح " .

- تناولت أطراف " الصلحة " الزوج ، والأخت ، والزوجة لأنواع معينة من الأطعمة توثيقا للعهد والمصالحة، أبرزها " العيش والملح " اللذان يرتبطان عند العامة بالسلام والأمان والوفاء بالعهد ، فهم يقولون " بينهم عيش وملح " كناية عن العهد والأمان ، ويقولون " يخونك العيش والملح " تهديداً لمن يحاول نقض العهد .!

- تأكيد لعهد أو المصالحة بالدم " ذبح الديك الأحمر والحمامتين ثم الكلب " يقول جيمس فريزر " وما تزال القبائل البدائية فى أفريقيا والهند تتبع مثل هذه الشعائر عند إعلان حالة السلم بين طرفين متنازعين . فعندما يعلن " الكافيرونديون " فى أفريقيا الشرقية البريطانية حالة السلم بعد الحرب فإن الجانب المغلوب يذبح كلبًا ويقطعه إلى جزءين ثم يحمل ممثلون من الطرفين المتحاربين لحم الزند ولحم المؤخرة بصفة خاصة فى أيديهم ويقسمون فوق هذه الأجزاء على إشاعة السلم والصداقة فيما بيْنهم " { جيمس فريزر الفولكلور فى العهد القديم ، ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ ، ص ٢٣٧ } .

- الاهتمام بتطهير " العتبة " ، وربما كان هذا الأمر مرتبطا بالاعتقاد فى أن الأعتاب هى مقار للأرواح التى يجب اتقاء شرها واسترضاءها ، يقول جيمس فريزر : " أن هذا الاعتقاد يتمثل فى أن العتبة تعد مسكنا للأرواح التى يجب أن يسترضيها كل من يدخل البيت أو يخرج منه فى مواسم بعينها { جيمس فريزر ، الفولكور فى العهد القديم ، ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ، الجزء الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ٨٤ } .

- إيقاد شمعة فى المرحاض و " رشه " ، ويعكس هذا الاعتقاد فى أن المراحيض تكون مأوى للجان ، وأن إيقاد الشمعة يعمل على إزعاج الشياطين والأرواح الشريرة ويبعدها عن المكان ، يقول الدكتور محمد الجوهرى " فالجن فى المعتقد العبرى تفضل الإقامة فى الأماكن القذرة بصفة عامة ، وفى المرحاض بصفة خاصة " {الدكتور محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ، دراسة فى الأنثربولوجيا الثقافية ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥ ، دار المعارف بمصر ، ص ٢٠٤ } .

- وجوب " لبس " الزوجة " طرح غشيم " وهو الجهيض الذى لم تتكون له ملامح ، ويرتبط هذا بما سبق الإشارة إليه من عادة دفن الجهيض فى البيت ، وأنه ربما كان الهدف من هذا أن ترجع روح الجهيض إلى الأم مرة أخرى لتعود بعد ذلك فى حمل جديد .

. . . .

= - الإشارة إلى وجوب استعمال " القفل والماسكة " بعد الحمل كوسيلتين من وسائل الحفاظ على الحمل .

- " التحويطه " أو " التعويذة " التي يجب أن يحملها الطفل بعد أن يولد والمكونة من أجزاء من الكلب الذى ذبح ويقول جيمس فريزر بشأنها " أما الطريقة التى يتأثر بها الشخص المعنى بهذه الشعائر ، فهى أن الشخص بارتدائه جلد الحيوان يطابق بين شخصه والحيوان الضحية الذى يكون بمثابة الحاجز بيه وبين إيذاء القوى لشريرة له سواء كان ذلك عن طريق خداعها أو مداهنتها ، فتوجه تأثيرها إلى الحيوان بدلا من الرجل ، أو أنه يظن أن لحم الحيوان ودمه وجلده له خاصية سحرية معينة تحفظ الشر بعيداً عن الإنسان { جيمس فريزر ، الفولكلور فى العهد القديم ، ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ، الجزء الأول ، ١٩٧٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٣١٥ .

وإذا كانت " الأخت " تظهر بكثرة فى أقوالهم وأفعالهم فإن " الأخ " وهو قرين الأنثى يظهر كذلك ولكن بشكل أقل ، فهم يقولون " إن رأت المرأة فى نومها أن رجلا غريبا يحاول مضاجعتها فهذا دليل على أنها ستحمل وأن ذلك الغريب هو " أخوها " { الشيخه زينب محمد السيد ، السبخه ، الزقازيق } .

" الماسكه والقفل "

" الماسكه " و " القفل " من أكثر الأشياء التى تنصح المرأة التى تجهض بحملها ، والماسكة عبارة عن قطعة من الحديد يصنعها الحداد ، وتسلك فى خيط يربط حول عنق المرأة بحيث تتدلى على أسفل ظهرها لـ "تمسكه " ، وكذلك يفعل بـ " القفل " ، وهما يعكسان الاعتقاد الشعبى فى التماثل وتبادل التأثير بين الأشياء والأحوال ، فـ " السقوط " أو الإجهاض هو إرسال الجنين أو تركه يسقط ويقع من الرحم " المفتوح " ، فيكون المطلوب فى هذه الحالة أن " يمسك " الرحم مافيه وأن " يقفل " عليه حتى يحين أوانه ، ولهذا كانت " الماسكة" وكان " القفل " ، وتبرز هنا القيمة الرمزية لهما كأداتين وكاسمين اشتقا من الوظيفة التى صنعا لأدائها ، كما يبدو فيهما التكامل بين الكلمة ووظيفتها ، وهو سمة بارزة من سمات المأثورات الشعبية ، تبرز خلالها الكلمة موظفة فاعلة ، بل إنها تقوم أحيانا مقام الفعل ، فهى ليست حلية ولا تزيدا ، يبدو هذا بوضوح فيما أورده " الديربى " يصف ما ينفع الحبلى التى تسقط الأولاد يقول " يكتب لها حجاب ويعلق عليها " إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا كذلك أمسكتك ياولد فلانه بنت فلانه ، بأن تقر فى مقرك ومستودعك بالله الذى له ما سكن فى الليل والنهار ، وهو السميع العليم ، اسكن بجلال الله - ثلاث مرات - اسكن ياولد فلانه بنت فلانه بالله الذى اسلم له من فى السموات والأرض طوعا أو كرها وإليه يرجعون ، ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم { انظر : مجريات العالم العلامة الشيخ أحمد الديربى ، الطبعة الرابعة ، المطبعة العامرية المليجية ، سنة ١٣٣٧ هـ ، ص ١٠١}.=

ويمضون فيرددون على مسامع الحامل :

" ربـنـا يـشـيـل حـمـلـك "

" تـقـومـى بـحـجـرك مـلـيـان "

ويلاحظ فى هذا الدعاء الأخير أنه كنى عن الوضع بالحجر الملآن ، ومن الجدير بالذكر هنا أن الفلاحين يجنون ثمار مزروعاتهم فى " الحجر " ، وهكذا يماثل الوجدان الشعبى بين جنى الثمار الإنسانية والثمار الزراعية .

" الدعاء والولادة "

تعد عملية الولادة من أصعب وأشق ما تواجهه المرأة فى حياتها لهذا قالوا أنها " حرب الصبايا " ، فخلالها تكابد المرأة من الألم والمشقة ما لا يوصف ، وتتعرض لأخطار جسيمة يمكن أن تودى بحياتها ، ومن أجل هذا أحيطت هذه العملية بضروب من الاهتمام والعناية تتناسب مع خطورتها ، ولقد شارك الدعاء فى هذه العملية بنصيب وافر يؤكد أهميته وحضوره الدائم فى حياة الناس ، وسواء أكانت " الداية " هى التى تقوم بعملية التوليد أم كان الطبيب أو الممرضة هى التى تقوم بها فإن الدعاء ينطلق من الحاضرات من النساء ، وبصفة خاصة " الداية " .

ومن أشهر الأدعية التى تتوسل بها الداية ما يلى :

" ايد ربنا قبل ايدى "

" يا جابر انت الجابر "

= ، فهو هنا يقدم " ماسكة " قولية خالصة تعتمد على قوة لكلمة وتأثيرها وطاقتها الإيحائية خاصة الكلمة القرآنية ، وتبرز فيها بوضوح كلمات " الإمساك " و " الاستقرار " و " اللبث " ، وهكذا يكون المعول على طاقة الكلمة وأثرها ، ويمثل هذا أحد أسس الممارسات السحرية يقول فريدريش فون ديرلاين " وفى بعض الأحيان تعيش فى صميم الكلمة المنطوقة قوة سحرية ... وتزداد قوة الكلمة إذا ما نطقت بصيغة معينة ، وتكون الكلمة ممتلكة لأسمى قوتها إذا كان القول شعراً { فريدريش فون ديرلاين ، الحكاية الخرافية ، ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ، الألف كتاب ، ٥٦١ ، دار نهضة مصر لطبع والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٧٦ } . ، وهكذا تقوم الكلمة والفعل فى الممارسات الشعبية الخاصة بالإجهاض بالعمل على تأمين الحمل وحماية الجنين فى الرحم .

" يا فارج الفرج ومعلى الدرج ، اخرج كما الكتكوت من البيضة خرج "

" يأيها الولد المكنون اخرج من الظلمات إلى النور ، اخرج لا تبالى ،

" أذن لك البارى ، آدى شهرك التاسع ، وآدى يومك المعلوم "

" يا فرج ابعت فرج ، وانت معاك مفاتيح الفرج "

" اجبر يا جابر على قبول النبى ، والحَجَرْ لان لاجل النُّبى "

" اللهم سهلها واجعلها سهلة ، زى ما جعلت الصعبة هله "

" ابـــــــــرز يـــــــــا بـــــــــارز "

" يـــــــــابـــــــــارز الـــــــــبـــــــــروز "

" يـــــاســـــت وحـــــيـــــاة جـــــدك مـــــدى يـــــدك "

" يـــــا ســـــتـــــى رَجـــــيِّـــــه اجـــــبـــــرى الـــــبـــــنـــــيـــــه "

" يـــــا ســـــت كَـــــخْـــــلـــــه انـــــتـــــعـــــيـــــهـــــا مـــــن دى الـــــوحـــــلـــــه "

" يا سيدى جبرين هفها بجناحك اليمين ، عابده بنت عابدين "

" بـــنـــتـــلـــقـــى الـــفـــرج مـــن عـــنـــدك يـــا رب الـــعـــالمـــين "

" يـــا ســـيـــدى جـــبـــريـــن مـــلـــس عـــلـــيـــهـــا بـــايـــدك الـــيـــمـــين "

" يـــا ســـيـــدنـــا نـــوح ، يـــا مـــخـــلـــص روح مـــن روح "

" يا سيدى بكر يابو الصديق اطلب من ربك يفك الضيق "

" فـــى الـــدقـــيـــقـــه ربـــنـــا يـــفـــك مـــيـــت ضـــيـــقـــه "

" كـــل بـــتـــعـــه بـــنـــتـــعـــه فـــيـــهـــا الـــنـــبـــى يـــســـعـــه "

" ســـــــوق يـــــــا دســـــــوقـــــــى " (١)

ويلاحظ فى أمر هذه الأدعية كثرتها النسبية مما يعكس خطورة الموقف الذى تتردد فيه ، وأهمية الدعاء كوسيلة يتوسل بها الإنسان فى المواقف الصعبة ، كما يلاحظ أنها مصوغة صياغة فنية واضحة فهى مركزة ، موقعة ، مسجوعة ، تنتقى الكلمة الدالة الموحية المعبرة ،

---

١ - تم جمع تلك الأدعية من الدايات والرواة اللاتى ورد ذكرهن فى أماكن أخرى من الكتاب .

ففى تصوير صعوبة الموقف تستخدم كلمات " الوحله " ، الضيق ، الصعوبة " ، وفى التعبير عن الرجاء والأمل تستخدم كلمات " الجبر ، الفرج ، الخروج ، اللين ، التسهيل ، البروز ، الخلاص " ، ويستخدم الدعاء التشبيه التمثيلى الموحى " أخرج كما الكتكوت من البيضة خرج " ، فإذا كان الكتكوت ينقف جدار البيضة ويخرج فى سهولة ويسر وأمان ، فليفعل الجنين مثله وليخرج من رحم أمه فى سهولة ويسر وأمان ، وهكذا تسهم الكلمة بدورها الهام فى هذه العملية الحيوية الخطيرة [1].

---

١ - إذا تعثرت عملية الولادة قالوا إنها " متعسرة " وعمدوا إلى القيام ببعض الممارسات منها " فتح لأبواب المغلقة " .

" وضع مقص مفتوح على عتبة الحجرة التى توجد بها من تقوم بالولادة ، ثم تقوم بتخطيه سبع مرات "

" وضع مقص مفتوح على بطن من تقوم بالولادة "

" فك كل شئ معقود ، شعر ، أحزمة ، عصبات ... الخ "

" يلبس الزوج ثيابه بشكل معكوس ويظل يروح ويجئ فى الحجرة التى توجد بها زوجته التى تلد [سمير شوقى حمايه ، موظف ، قال إنه قام بهذه العملية بنفسه ، من كفر محمد حسين ، الزقازيق] .

ويلاحظ فى أمر هذه الممارسات أنها فى جملتها توحى بالانفراج والانفتاح ، وأنها تأخذ بمبدأ السحر التشاكلى أو سحر المحاكاة وأن الشبيه ينتج الشبيه . فالمقص المفتوح يوحى بالرحم المفتوح ، حتى ينفتح الرحم ويرسل ما فيه ، أما ارتداء الزوج ثيابه بشكل معكو وتحركه فى الحجرة حول زوجته التى تضع فربما كان الهدف من وراء هذا هو محاولة خداع القوى الشريرة التى تتربص بالوالدة والمولود ، يقول جيمس فريزر " وقد أخبرنا مبشر كاثوليكى عن هذه العادة نفسها التى تنتشر بين قبيلة « كاشين » فذكر أنه فى حالة الولادة العسرة ، فإن هؤلاء البدائيين يتهمون « السون » وهم أرواح النساء اللاتى توفين أثناء الولادة ، بسعيها فى قتل الأم ومن ثم فهم يقومون كما هو المألوف بطردها ، ولهذا الغرض يتجول أفراد الأسرة فى كل ركن من أركان البيت ، ويلوحون بسكاكينهم وسهامهم ، ويحدثون كل صنوف الصخب ، وكلما كانت الأصوات أكثر جلبة كانت أبعد فى تأثيرها ، بل إنهم يقفون إلى جانب المريض وهم مجردون من ملابسهم لكى يفزعوا الأرواح الشريرة [جيمس فريزر ، الفولكلور في العهد القديم ، الجزء الثانى ، ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ٢٥٢ .

وهكذا تستهدف هذه الممارسات معاونة من تلد ، وحمايتها من الأخطار التى تحيط بها حتى ينزل المولود فى أمن وسلامة .

الدعاء بعد الوضع

بعد أن تضع الحامل حملها يتقاطر عليها الأهل والأقارب والجيران ، يهنئونها بسلامتها ، ويباركون لها فيمن أنجبت ، ويكون هذا فى اليوم السابع عادة ، وهم يعبرون لها عن مشاعرهم فى شكل دعوات فيقولون :

" الحمد لله على سلامتك "

" بركه اللى ربنا جبرك "

" بركه اللى ربنا قومك بالسلامه "

" عقبال سلامة لربعين "

" ربنا يتمم نفاسك على خير "

" مبروك ما جالك "

" اللى جابلك يخليلك "

" يتربى فى عز أبوه "

" تتربى فى عز أبوها "

" تخاويه "

" تخاويها "

وتعبر هذه الأدعية عن مشاعر السرور التى تعم الأهل والأقارب فى هذه المناسبة ، كما تعبر عن شكرهم الله على ما أنعمه عليهم من سلامة الوالدة ، ودرء الخطر عنها خلال الولادة ، ومن نعمة الذرية التى أعطاها لهم ، وتعكس هذه الأدعية مشاعر القلق على سلامة الوالدة والمولود خلال الفترة التى تلى عملية الولادة مباشرة والتى تمتد لمدة أربعين يوما " فترة النفاس" ، وتكون الوالدة والمولود عندهم عرضة للضرر خلالها ، فالبنسبة للوالدة يخشون عليها من " الكبسة " بوجه خاص ، وتعنى " الكبسة [1]، وتعرف كذلك بـ « المشاهرة » ، تعنى تعطل قدرة الأنثى على الحمل الآخر أو جفاف لبن الوالدة .

١ - " تكون الوالدة عرضة للكبسة إذا دخلت عليها حيث توجد أو التقت بها فى الطريق وهى ساكنة :
- " واحده مطاهره لم يهل عليها الشهر العربى ".
- " واحده مكتوب كتابها ولم يهل عليها الشهر العربى " .
- " عروس لم يهل عليها الشهر " .
- " دماء بكاره ".

. . . .

= " واحده حامل "

- " واحده مات ابنها ولم يهل عليها الشهر العربى "

" واحده ساقطه "

" واحده مَبْلوله من غُسل ميت "

" واحده لابسه أو شايله خرز أو دهب قديم أو فضه قديمه "

وهم يحرصون أشد الحرص على ألا تدخل على " الوالده " واحدة من هؤلاء ، فإن حدث ودخلت عليها إحداهن " انكبست الوالده " ، ووجب العمل على فك " الكبسه ، ولكل كبسه " فكه " خاصة بها .

- فكة كبسة المطاهرة

" تلبس المكبوسه قطنه مغسومة فى دماء مطاهرة "

" تبول الكابسة ثم تبول المكبوسه فوق بولها "

" تلبس المكبوسه قطنه مغموسه فى بول الكابسه "

" تتشطف المكبوسه بماء مخلوط ببول الكابسه "

- فكة كبسة دماء البكارة

" تنقع محرمه مخضبه بدم البكاره ثم تتشطف بمائها "

" تدخل المكبوسة مع عروس أثناء فض بكارتها وتغمس قطنه فى دم بكارتها ثم تلبسها "

- فكة كبسة السقط

" يؤتى بسقط وينقع فى الماء ثم تتشطف به المكبوسة "

- فكة كبسة الوالدة

" تبول الكابسه ثم تبول المكبوسه فوق بولها "

" تقعد المكبوسه عارية فوق خلاص بمجرد نزوله من الرحم "

- فكة كبسة الميت

" يؤتى بالصابونة أو الليفة المستعملة فى غسل الميت ثم توضع فى الماء وتتطهر به المكبوسة " .ويلاحظ فى الممارسات الخاصة بفكة الكبسة أنهم يستعملون أشياء معينة " البول ، الدم ، الخلاص ، السقط ، الصابونه أو الليفه الخاصة بالميت " وكلها ذات صلة بالشخص " الكابس ، ويمكن تفسير استعمالهم لهذه الأشياء بأنهم يعتقدون أن المكبوسة قد سلب منها شئ عن طريق الشخص الكابس ومن ثم فهى تعود وتسترده منه من خلال هذه الأشياء الخاصة به .=

. . . .

– فكة كبسة الخرز

ينفرد " الخرز " بين " ما يكبس " بمكانه خاصة ، فهو " يكبس " و " يفك " كل أنواع الكبسة ، كما أنه يقى المرأة من شر الكبسة ويحصنها ضدها .

ويوجد " الخرز " فى كل قرية تقريبا ، كما يوجد فى الأحياء الشعبية فى المدن ، وتعرف النسوة عادة البيت الذى يوجد فيه " الخرز " ، وتتجاوز شهرة بعض " الخرز " حدود المكان الموجود فيه ، ولاياد " الخرز " يستقر فهو يتنقل من بيت إلى آخر ، ويعتبرونه " سواب لله " ولا يمنعونه عن أحد يحتاج إليه ، ويحرصون على تأمينه فلا يخرجونه إلا إذا استوثقوا من رجوعه وربما أخذوا " رهنا " له ضمانا للحفاظ عليه .

ما هو الخرز ؟

يتكون الخرز الذى أتيح للباحث مشاهدته من وحدات من الكهرمان ، أشكال مختلفة من الحصى ، قطع من الأحجار ، قطع من عملات قديمة ، محار ، تمثال فرعونى معدنى ، والخرز إما منظوم فى خيط ، أو مفرق ومجمع فى كيس من القماش ، أو ملفوف فى منديل ، أو على شكل عقد كهرمان تتقلده عادة الفلاحات أو البدويات { أتيح للباحث مشاهدة سبع مجموعات من الخرز هى : مجموعة الداية رزقه من الجديدة مركز منيا القمح ، مجموعة نوره محمد الفرارجى من العدلية مركز بلبيس ، مجموعة الداية حليمه صالح على ، قسم النظام ، مدينة الزقازيق ، مجموعة البدوية ناعسه محمد حسان ، الشبراوين مركز ههيا ، مجموعة سنيه محمد منصور ، الهوابر مركز ديرب نجم ، مجموعة هانم أحمد خليل ، أكياد البحرية مركز فاقوس ، مجموعة أم رؤيه ، مهديه مركز ههيا } ، ولقد استرعى انتباه الباحث وجود حصاة تأخذ شكل تمثال صغير لطفل مفتوح الفم صاحبتها قالت أنه " مصخوط " { الداية حلميه صالح على ، قسم النظام ، الزقازيق } ، كما استرعى انتباهه قطعة غريبة الشكل تشبه الكأس الصغير قالت عنها صاحبتها " دى حته من سلسلة ضهر كافر " {الراوية السابقة } .

الذهب والفضة :

يعتقدون أن الحلى الذهبية أو الفضية القديمة – يقولون عنها الورسه – تفعل فعل الخرز فتكبس وتفك ، يقول الأستاذ أحمد أمين عن « البندقى » وهو نوع من العملة الذهبية " هو نوع من النقود يظهر أنه كان يضرب فى البندقية فالعامة تسميه بندقى ولا أدرى لم اعتقد فيه العوام أنه من أسباب المشاهرات ، فإذا دخل أحد معه بندقى أصيبت المرأة بالمشاهرة أعنى العقم " { أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٣ ، ص ٩٧ } . =

. . . .

مصدر الخرز :

أجمع الرواة الذين يحرزون الخرز على أنه ميراث آل اليهن من لأجداد ، وزادت إحداهن فقالت إنه " من الجبال والأسرات " [هانم أحمد خليل ، أكياد البحرية مركز فاقوس] ، وقالت ثانية إن جدتها كانت قد حصلت عليه من بعض البدو الرحل [الدايه رزقه ، الجديده مركز منيا القمح] ، وقالت ثالثة إنها حصلت على بعض الخرز الذى عندها من الحجاز خلال أدائها شعائر الحج بجبل عرفات [نوره محمد الفرارجى ، العدليه مركز بلبيس] .

المارسات المرتبطة بالخرز :

يؤتى بالخرز ويوضع فى الماء ثم تتطهر " المكبوسه " بذلك الماء عقب انتهاء الدورة الشهرية ، وبعد ذلك تقوم بإدخال الخرز من طوقها وتتركه ينزلق على جسدها وتلتقطه لتقوم بإدخاله فى طوقها ثانية ، وهكذا سبع مرات ، ثم تضعه على الأرض وتخطيه سبع مرات ، ثم تحمله معها إلى أن يهل عليها الشهر العربى .

ويمكن تفسير هذه الممارسة على النحو التالى :

إنهم بنقعهم للخرز فى الماء إنما يعملون على أن يكتسب الماء الخصائص والقوى الموجودة فى الخرز ، فإذا ما سكبته " المكبوسه " على جسدها غمرتها تلك القوى وفعلت فيها فعلها فأزالت عنها آثار الكبسة ، يقول سعد الخادم " كما نكتشف وسط المشاهرات أيضا اسطوانات خرز من العهد اليونانى الرومانى ... ومن بين الخرز الذى من هذا النوع ما له ماسورتان متوازيتان إحداهما تعلق منها بالخيط ... أما الثانية فيرجح أن تكون لغرض آخر ... إن بعضا من هذه الماسورات الثانية مسدود من أحد طرفيه ، مما يرجع استخدام حشوه بالعطور أو الزيت أو غير ذلك من مساحيق تعطر الأجسام التى تمسها أو قد تكون بها حشوات من مركبات تجلب منافع متعددة على من يحملها سيما عند الاستحمام بها وأذابت القليل مما تحويه هذه الأسطوانات التى تصنع منها العقود والقلائد القديمة ، وإذا صح هذا الافتراض فقد يكون فيه تفسير للرغبة الشعبية والدارجة فى الاستحمام بما تنقع فيه المشاهرات القديمة بغية التبرك بها " [سعد الخادم ، مجلة الفنون الشعبية ، القاهرة ، العدد السادس ، ١٩٦٨ ، مقال تحت عنوان الخرز الشعبى والعقائد المرتبطة به] .

ويمكن إضافة عدة افتراضات إلى هذا الافتراض الذى قدمه سعد الخادم ، منها أن الخرز يضم وحدات من عناصر يعتقد أن لها خصائص سحرية ، مثل الذهب ، والكهرمان ، يقول سير جيمس فريزر " ولقد كان =

. . . .

= العلماء يعلقون أهمية كبرى على الخصائص السحرية التى تتمتع بها الأحجار النفيسة ، والحقيقة أن هناك ما يدل على أن هذه الأحجار كانت تستخدم كتعاويذ وأحجبة قبل أن تستخدم فى الزينة بوقت طويل " {السير جيمس فريزر ، الغصن الذهبى ، الجزء الأول ، لهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ص ١٧١ } .

ومنها أن الخرز يضم وحدات من الحصى تتخذ أشكالا أشبه بالإنسان يعرفها العامة بالمساخيط ، وهم يطلقون كلمة مسخوط على التماثيل الأثرية ، ويعتقدون أنها كانت فى الأصل أناسا وأن الله سخطهم ، ومن المعروف أن عملية السخط هذه تكسب الأشياء حرمة وقداسة خاصة كما سبق القول وربما كان الاعتقاد فى قوة المساخيط هو بقايا معتقدات فرعونية قديمة كانت مرتبطة بتماثيل الآلهة وخاصة آلهة الإخصاب والتناسل ، وهنا يمكن أن تلقى رواية الرواية التى قالت عن الخرز أنه من " الأسارات " تقصد الآثار ضوءاً على هذا الجانب . ومنها أن المحار الذى يمثل مكونا من مكونات الخرز يرمز إلى العضو الجنسى للأنثى ، وهو أداة الإخصاب لديها ، يقول سلامة موسى " كان المصريون القدماء يقتنون الودع لأنه رمز الأمومة إذ هو يمثل عضو التأنيث لأن المصرى القديم كان يحسب أن الأم هى التى تقوم وحدها بالتناسل ، ومن الودع الذى مازال الصبيان يعلقونه إلى زمننا هذا لكى يحفظوا حياتهم ارتقوا إلى أن هذا الأكسير يوجد أيضا فى الخرز والجواهر والذهب وهذه عقائد لاتزال حية فى بعض الأحيان عند كثير من الأمم والطوائف " { سلامه موسى ، مصر أصل الحضارة ، المطبعة المصرية ، ص ٦٧ ، ٦٨ } .

هذا فيما يتصل بالاستحمام بالماء الذى ينقع فيه الخرز ، وأما قيام " المكبوسة " بوضع الخرز فى طوقها وتلقيه من ذيلها سبع مرات فيمكن تفسيره بأن هذه الممارسة هى محاكاة لعملية الحمل والوضع تجسد الاعتقاد الشعبى فى المماثلة وما يعرف عند السير جيمس فريزر بالسحر التشاكلى أو سحر المحاكاة ، وربما كانت ذات صلة بالممارسات الخاصة بـ " الميلاد الجديد " ، يقول جيمس فريزر " فعادة الميلاد الجديد كانت تستخدم فى المقام الأول استخداما طبيعيا فى أحوال التبنى ، أى بقصد جعل الابن المتبنى ابنا حقيقيًا للأم المتبنية له . فالمؤرخ الصقلى « ديورس » يخبرنا ، أن هرقل عندما ارتفع إلى مصاف الآلهة ، أغرى أبوه الإله « زيوس » زوجته « هيرا » أن تتخذ من هذا الابن غير الشرعى ابنا حقيقيا لها . وقد حققت الإلهة النبيلة مطلب زوجها ، بأن نامت فى سريرها وضمت هرقل إليها ثم وضعته داخل ردائها ودفعته حتى سقط على الأرض ، مصطنعة بذلك أنها تلد حقيقة { جيمس فريزر ، الفولكلور فى العهد القديم ، ترجمة الدكتور نبيلة إبراهيم ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ ، ص ٣١٦ } .

يكون للدعاء بعد الوضع " فى فترة النفاس " دوره الهام ويكون للكلمة وظيفتها لسحرية فى حفظ لوالدة والمولود ، ودرء الخطر عنهما ، ويمكن القول أن هذا هو محتوى الجزء الذى يستهدف الوالدة من الأدعية ، أما الجزء الذى يستهدف المولود فهو يطلب له العمر الطويل ، والبركة من الله ، وأن يتربى وينشأ فى " عز أبيه " ، وهذا أمر جدير بالالتفات إليه ، فلقد جاء الولد ، أنجبته الأم ، فأصبحت الأمنية والمطلب أن يعيش عيشة كريمة عزيزة يوفرها له أبوه ، وهنا يبرز دور الأب فإن كانت الأم مسئولة عن الإنجاب فالأب مسئول عن توفير الحياة الكريمة للأسرة ، الأم تنجب والأب يعمل كما يطلب الدعاء أن يتوفر للمولود « الأخ » الذى "يؤاخيه " ويكون له سنداً وقوة وأنيسا ورفيقا ، ويعكس هذا نفور العامة وكراهيتهم لأن يكون الولد وحيداً ، ويصور حبهم وحرصهم على أن يكون للواحد منهم أكثر من ولد .

الدعاء للأم فى أبنائها

يدعون للأم فى أبنائها فيقولون :

" تِفْرَحِي بِهِم "

" يطعمك خيرهم "

ويدعون لها فى ولدها الذكر فيقولون :

" يخليهولك سند للولايا "

" يجعلو كفيل لاخواتو "

" يعمر بيت أبوه "

" يجعلو عقاد كفنك "

وتصور هذه الدعوات مكانة الأبناء ، وموقعهم فى نفوس ذويهم ، كما تعكس أبعاد النظرة الشعبية إليهم ، ويلاحظ فيها بروز القيمة الاقتصادية للأبناء ، واعتبارهم قوة يعتمد عليها الوالدان للحصول على متطلبات الحياة ، بالإضافة إلى ما يحققونه من الإشباع النفس والعاطفى ، وتكشف هذه الدعوات بجلاء عن المكانة العالية التى يشغلها الولد الذكر وارتباطها ببعض القيم والتقاليد الاجتماعية ، فالذكر هو سند أخواته الإناث الضعاف ، وهو المتكفل بأمر حمايتهن " ووصلهن " ، وهو الذى يحمل اسم أبيه ويعمر بيته بذريته ونسله ، أى أنه يدعم العصبية ويقويها ، وللولد كذلك دوره الهام حين يموت الوالدان ، فهو الذى ينهض

بواجبات الدفن ، وهو الذى يتقبل العزاء ، وهذه قيمة اجتماعية لها وزنها ، وهم يقولون فى إعجاب وتقدير " مات أو ماتت فى عز أولاده أو أولادها " أى إنه قد كان لهما من الأبناء من أحاطهما بعد موتهما بمظاهر التكريم التى يحرص المصرى عليها منذ القدم .

وهكذا يكون وجود الذرية والذكور بصفة خاصة ضرورة تدعو إليها كل الظروف المحيطة بالإنسان الشعبى .

وإذا كانت الأدعية السابقة تمثل العلاقة الخاصة بين الابن والأسرة ، وهى العلاقة التى تكشف عن ركن أساسى فى بناء المجتمع الريفى ، فإن الدعاء الموجه للأم فى ابنتها يمثل جانبًا آخر من بناء هذا المجتمع وهم يدعون لها :

" يستر عرض ولاياكى "

" يريح قلب حبيبتك "

" تشوفيها فى بيت العدل "

" تشيليها "

ويلاحظ أن هذه الدعوات تدور كلها حول زواج البنت ، وصيانة عرضها ، وراحتها واستقرارها العائلى ، وإنجابها ، ويعكس هذا أبعاد النظرة الشعبية إلى البنت وإلى وضعها ودورها فى الحياة الذى يتركز أساسا فى أن تكون زوجة تنجب الذرية ، كما يعكس القيمة المرتفعة للعرض والحرص على ستره وصيانته ، ويسترعى الانتباه نعت البنت فى هذه الأدعية بـ " الوليه " و " الحبيبه " فكلمة وليه تعنى عندهم الضعف والانكسار ، والحبيبة تكشف عن منزلة البنت فى نفس أمها وقربها إلى قلبها وعطفها الشديد عليها والذى يمكن أن يكون دافعه ضعف البنت وانكسارها ، وتتفق هذه المعانى مع ما توصلنا إليه من خلال عرضنا للأمثال والأغانى الشعبية ، الأمر الذى يؤكد عمقها وقوة تأثيرها فى الوجدان الشعبى .

الإنجاب والذرية والدعاء بالسلب .

سبق القول أن الدعاء يكون للإنسان بالخير أو بالشر وقد سبق أن عرضنا الدعاء بالخير للإنجاب ، وهاهى ذى بعض الأقوال التى تؤدى الغرض المعكوس أى عدم الإنجاب ، وذلك عندما يكون الموقف الشعورى مفعمًا بالكراهية والرغبة فى الانتقام ، فهم يدعون على المرأة ألا تحمل فيقولون :

" الاهى ما يشقولك بطن "

" الاهى ما تشوفيهم "

" الاهى ما تنتصفى ولا تقعدى على ايدين دايه "

" الاهى ما يجرولك فى ديل "

" الاهى ما تحادى ولا تدادى "

" الاهى ما يمسكولك كم ولا تغسليلهم فم "

ويلاحظ أن هذه الدعوات توجه إلى المرأة دون الرجل ، وأنها صيغت فى صورة كنايات تكشف عن أبعاد نظرتهم إلى الذرية وعن قيمة الذرية ومنزلتها فى نفس المرأة خاصة ، فهم زينتها وبهجتها وإنصافها ، هذه القيم الغالية العزيزة التى تستهدف الدعوة أن تسلبها إياها الأمر الذى يؤكد خطرها وأهميتها فى حياة المرأة .

وهم يدعون على المرأة الحامل فيقولون :

" الاهى ما تقومى بحملك "

" تروحى بحملك "

" الاهى ماتنجبرى "

" تولدى حيايه "

وتستهدف الدعوات هنا حياة الحامل وحملها معًا فتطلب ألا تنهض بحملها ، ألا تضع ما فى بطنها وتموت وإياه ، أو أن تلد الحيات بدلا من الأولاد ، وهكذا تستهدف الدعوات حرمان المرأة من أغلى ما تحب وتتمنى وهو الذرية وبذا تعكس الدعوات بالشر قيمة الذرية وتكشف عن مكانتها فى نفوس الناس ، الأهل والأعداء .

الفصل الرابع

القسم والذرية

- الحلـــــف بالذرية .
- الاستحلاف بالذرية .

القسم والذرية

الحلف أو القسم من أكثر ما يلجأ إليه الإنسان المصرى فى حياته اليومية ، فالواحدة أو الواحد صغيراً كان أم كبيراً ، لا يقول شيئًا ، أو يفعل شيئًا لأحد إلا أتبعه بصيغة من صيغ لقسم يطلقها مؤكداً بها صدق ما قاله أو فعله ، وعادة يكون القسم بالله والقرآن والإنجيل والأنبياء ، والأولياء ، وأرواح الآباء والأجداد ، والذرية .

ويعكس القسم أو الحلف قيمة ومنزلة المحلوف به وأهميته لدى من يحلف به ، لهذا فالقسم بالذرية هو انعكاس ومظهر للإحساس العميق بقيمتها وأهميتها ، ولا عجب فقد أقسم لله سبحانه وتعالى بالوالد والمولود فقال ﴿ لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ، ووالد وما ولد ، لقد خلقنا الإنسان فى كبد ﴾ [1]. الأمر الذى يؤكد علو قيمة الوالد والمولود عند الله وعند الناس ، ومن هذا ما تعمد إليه المرأة الحامل من القسم بحملها قائلة :

" وحياة اللى فى بطنى والا ما أوعى أقوم به "

" وحياة من يعلم اللى فى بطنى والا أروح به "

فهى تقسم بحياة جنينها المستكن فى رحمها ، فإن كانت كاذبة فعقابها أن تموت ولا تضعه، وهى تقسم بالله لكنها لم تذكر اسم الله صراحة ، وإنما تخيرت للدلالة عليه صفة من صفاته وهى العلم وتخيرت من علمه الذى أحاط بكل شىء علمه بما فى بطنها هى على وجه التحديد الأمر الذى يكشف عن مدى اهتمامها واعتزازها بحملها الثمين ، وهكذا يصور القسم أهمية الحمل فى حياة المرأة .

وتقسم الأم بوليدها الصغير فتقول :

" وحياة اللى لسه ما عرف له رب "

كناية عن صغر سنه ، وتقسم الأم بوحيدها فتقول :

" وحياة الحيله "

" وحياة الغالى "

---

١ - قرآن كريم ، سورة البلد ، آية رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

" وحياة اللى ما شفتو إلا لما عينى عميت "

" وحياة اللى باقول يارب الرجا فيه "

" وحياة اللى باترجاه من الدنيا " تبرز هذه الصيغ للقسم المكانة العالية التى يشغلها الولد الوحيد فى نفس أمه ، وما كابدته من لهفة وشوق قبل أن تنجبه ، ومدى الخوف الذى يتملكها من أجله فهو حيلتها ورجاؤها ، وأملها الوحيد فى الدنيا ، الأمر الذى يعكس الإحساس بخطورة ألا يكون للأم سوى ولد واحد إن هى فقدته فقد فقدت كل شيء ، ويفسر الرغبة التى تتملك الأم فى الإكثار من إنجاب الذكور .

وتقسم الأم بأولادها فتقول :

" وحياة ولادى اللى أعز من عينى وعافيتى "

" وحياة ولادى والله ما أوعه أربيهم "

" وحياة ولادى والله يربيهم أعدا عدايه "

وتصور الأم فى هذه الصيغ للقسم منزلة أبنائها فى نفسها ، فهم أعز عندها من نظرها وعافيتها وهم قوام حياتها ، كما تظهر مدى حرصها على أن تربى أولادها ، فهى تدعو على نفسها إن كانت كاذبة بأن تموت فتحرم من تربية أبنائها ، وأن يربيهم أعداؤها ، ويكشف هذا عن مدى ما تجده الأم من لذة ومتعة فى قيامها بتربية أولادها وتحمل تبعاتهم ، على عكس ما قد يظهر أحيانا من تململها من هذا الأمر ، وهكذا يمثل وجود الذرية فى حياة المرأة كل هذه القيمة والمتعة ، وهم يستحلفون بالأولاد دلالة على علو مكانتهم فتستحلف الواحدة منهن الأخرى متوسلة بهذا لقضاء حاجتها فتقول :

" وحياة ولادك "

" وحياة الغالى "

" وحياة ابنك "

" وحياة الحيله "

" وحياة حبيبتك "

ويلاحظ أن هذه الصيغ تدور حول المعانى ذاتها التي تصور منزلة الولد فى نفس أمه ، وأنها تعكس بوضوح قيمة الذرية وأهميتها فى حياة الناس .

الفصل الخامس

الرقْية والذرية

- الركن العملى فى الرقية .
- الركن القولى فى الرقـية .
- نصـــــوص من الرقـــية .

الرقْية والذرية

الاعتقاد فى الحسد سمة من أوضح سمات الوجدان الشعبى المصرى ، وهو يقوم أساسًا لكثير من المأثورات والممارسات الشعبية التى تشكل جزءًا هامًا من سلوك الإنسان المصرى الشعبى .

ويرتبط الحسد عند العامة بالعين والنظر ، فإن أصابت الواحد منهم مصيبة صغيرة كانت أم كبيرة ، فسببها عين أصابته ، فالعين عندهم " تودى الرجل القبر والجمل القدر " و " تخرق الحجر " ، وأن الحسد قد ورد ذكره فى القرآن الكريم " ومن شر حاسد إذا حسد " [١].

والحسد عندهم صفة يتصف بها بعض الناس بشكل خاص ، ولا تخلو قرية من القرى من واحد أو واحدة يعتقد الناس أنه " حسّاد " أو أنها " حسّاده " ، وهم لهذا يتوقونهم فيتحاشون المرور بهم ، ويحرصون على ألا يدخلوهم بيوتهم ، أو يطلعوهم على أموالهم وأولادهم ، ويصل الأمر بهم إلى حد الاعتقاد بأن الإنسان قد يحسد ماله فيقولون " ما يحسد المال إلاّ أصحابه"، والمال والعيال من أكثر الأشياء التى تتعرض للحسد فى اعتقادهم ، وعلاج هذا الشر المستطير المتمثل فى الحسد ، ووسيلة توقيه عندهم هى " الرُّقوه " ، وترتبط " الرقوه " بالذرية منذ اليوم الأول لمولد الطفل ، ثم تساير نموه وتطوره ، وهى تمارس بشكل واسع فى الأوساط الشعبية ، فإذا ماتثاءب الصغير ، أو ارتفعت درجة حرارته قليلا ، فهو محسود ، ويسارعون إلى "رقوته" ، ومثلما اشتهر بينهم من اتصف بالحسد ، اشتهر بينهم كذلك من اتصف بالقدرة على " الرقوه " ، فيوجد بينهم دائما امرأة " الراقية " التى فى يدها الشفاء إن شاء الله ، وتقوم "الراقية " بدور هام فى هذا المجال فى المجتمع الريفى ، ومما يدل على أهميتها أنهم يدعون بالشر فيقول الواحد منهم للآخر " جاتك عين وقلة راقيه " .

ويظهر أن " الرقيه " كوسيلة للوقاية والشفاء من الأمراض كانت معروفة منذ زمن بعيد ، فقد أورد الدكتور شكرى محمد عياد أن " إيزيس قد جاءت يوما إلى ولدها حور وهو فى مخبئه ووجدته ميتا ، وقد لدغته عقرب ، وأشفق عليه رع إله الشمس فبعث إليها توت ليعلمها رقيه ترد بها الطفل إلى الحياة ، وما كادت إيزيس تنطق بالكلمات التى علمها إياها الإله حتى خرج السم من جسم حورس وردت إليه الروح " [٢].

---

١ – قرآن كريم ، سورة الفلق ، الآية رقم ٥ .

٢ – الدكتور شكرى محمد عياد ، البطل فى الأدب الشعبى والأساطير ، دار المعرفة ، ص ١٣١ .

كانت الرقية إذن معروفة لدى قدماء المصريين ، وكانت معروفة كذلك للعرب القدماء بالأخذة يقول الدكتور عز الدين إسماعيل " الأخذة بالضم ، رقية تأخذ العين ونحوها كالسحر، أو خرزة يؤخذ بها النشاء الرجال من التأخيذ " وآخذه " رقاه "(١) .

كما كانت الرقية معروفة للمسلمين ، فقد ورد فى صحيح البخارى " عن عائشة رضى الله عنها قالت " أمرنى رسول الله ﷺ ، أو أمر أن يسترقى من العين " و " عن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى ﷺ رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة فقال استرقوا لها فإن بها سفعة "(٢).

ولعملية الرقية كما يمارسها العامة ركنان ، ركن عملى ، وركن قولى ، يقول الأستاذ أحمد أمين " الرقية تعويذة يستعاذ بها من الشر ، وقد تكون الرقية من عين حاسدة ، ولهم فى ذلك طرق كثيرة من ذلك أن تؤخذ قطعة من طرف ثوب صاحب العين ،وتحرق فى النار ، وتتلى عليها التعويذة ومن الرقى المستعملة كلمات تقال بعد وضع قليل من الملح فى كيس صغير ويعلق فى رقبة الأطفال (٣).

الركن العملى فى الرقية :

يتم جمع قدر من " القش " من أمام سبع بيوت تحيط ببيت " الطفل المحسود " وذلك فى الفترة التى تسبق مغيب الشمس " صَفَارِى شمس " ، ويجب على من تقوم بهذا العمل ألا تكلم أحداً أثناء ذهابها وعودتها .

يؤتى بقدر من ملح الطعام ، الفكوك ، البخور ، قطعة من الشبه ، وقصاصة من الورق " .

تقوم " الراقية " بقص قصاصة الورق وتشكلها على صورة " عروسة " ، ثم تأتى بإبرة وتأخذ فى وخز " العروسه " فى الرأس والعينين وهى تردد " عين فلانه أو فلان تنخرق وتنحرق " معددة أعين النسوة والرجال الذين تظن أن من بينهم " الحاسد " حتى تمتلئ " العروسة " بالثقوب ، ثم تأخذ الملح ، والفكوك ، والبخور ، والشبه ، والعروسه ، فتقبض

---

١ - الدكتور عز الدين اسماعيل ، مجلة التراث الشعبى العراقية ، العدد الرابع ، السنة الثامنة ١٩٧٧ ، مقال تحت عنوان " فى الطريق إلى جمع التراث الشعبى المدون ، تجربة أستطلاعية فى معاجم واللغة .

٢ - صحيح البخارى ، الكتاب السابع عشر ، المجلد الثالث ، ج ٢ ، كتاب الشعب ، ص ١٧١ ، باب رقية العين .

٣ - أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، الطبعة الأولى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٣ ، مادة رقية ، ص ٢١٢ .

عليها بيمناها ويكون قد تم وضع الطفل على حجرها فى هيئة النائم ، فتروح تمر بقبضة يدها على جسد الطفل بادئة من رأسه وهى تردد الصيغة القولية للرقية حتى تنتهى ، ثم يجرى إشعال النار فى " القش " الذى سبق جمعه ، ثم تلقى " الراقية " ما فى قبضتها فى النار ليحترق ، ثم تقوم بجمع بقاياه و " تفرك " بها كعب الطفل الأيسر ، ثم تقوم بوضع تلك البقايا ومعها قطعة من العملة المعدنية فى منديل وتربط عليها ، ثم تعطيه لمن تذهب به وقت مغيب الشمس إلى مفترق طرق لتلقى به من خلف ظهرها ثم تعود ، ويجب عليها ألا تكلم أحداً أثناء ذهابها وعودتها ، ويترك الطفل ليلته لا يقبله أحد من أهله ، وتتكرر هذه العملية ثلاث مرات متتالية فى ثلاثة أيام .

وفى العادة ما أن تلقى قطعة " الشبه " إلى النار حتى تنصهر ، فإذا ما خمدت النار وانطفأت فإن " الشبه " المنصهرة ما تلبث أن تبرد وتتجمد متخذة شكلا ما ، فيلتقطونها ويروحون يتأملونها ، ويعقدون الشبه بين الشكل الذى صارت إليه وبين واحدة أو واحد من هؤلاء الذين دار الشك حولهم ، وكأن قطعة " الشبه " قد تجسدت وتمثلت فى هيئة " الحاسد ".

ويدرك من يتأمل هذه الممارسات ، أنها ممارسات سحرية تستهدف إزالة الأذى الذى لحق بـ "المحسود " وذلك بالعمل على تدمير " الحاسد " اعتقاداً منهم بأنه إذا زال المؤثر زال الأثر الذى أحدثه ، ويتمثل هذا بوضوح فى صنعهم " العروسة " الورقية وقيامهم بوخز عينيها بالإبرة ، فهذه العروسة الورقية تجسد الشخص الحاسد ، وما يلحقونه بها من تدمير هو ما يريدون إيصاله إلى الشخص الأصلى الذى فعل " الحسد " ، والذى تمثله العروسة وتقوم مقامه، وينتمى هذا الفعل إلى ما يعرف بالسحر التشاكلى ، أو سحر المحاكاة ، والذى يقوم على أساس الاعتقاد بأن الشبيه ينتج الشبيه ، يقول السير جيمس فريزر " ربما كان أكثر صور استخدام مبدأ التشابه " الشبيه ينتج الشبيه " شيوعًا وانتشاراً هى المحاولات التى يقوم بها كثير من الناس فى مختلف العصور لإلحاق الأذى أو الدمار بأعدائهم عن طريق إيذاء أو تدمير صورهم ، اعتقاداً منهم أن ما يلحق بالصورة من شر وضرر يلحق بصاحبها ، وإنه حين يتم تدمير الصورة يموت الأصل بالضرورة فلقد قامت هذه الممارسات منذ آلاف السنين عند سحرة الهند القديمة وبابل ومصر ، وكذلك فى بلاد اليونان وروما ، كما أنها ما تزال شائعة حتى الآن عند الجماعات الهمجية ... فى استراليا وأفريقيا واسكتلندا ، فالهنود الحمر فى أمريكا الشمالية يعتقدون أن رسم صورة الشخص فى الرمل أو الرماد أو الطين ، أو الحصول على جزء

من جسمه ونخسه بقطعة حادة من الخشب ، أو إلحاق أى نوع آخر من الأذى به يستتبع الحاق أذى مماثل بالشخص ذاته الذى تمثله هذه الصورة " [1].

كما تتمثل الممارسات السحرية فيما يقومون به من جمع " القش " من أمام سبع بيوت ثم إحراقه ضمن ما يتم إحراقه من أشياء ، ذلك أن " القش " الذى يتم جمعه يمكن اعتباره أثراً من آثار الأشخاص موضع الشبهة المراد إلحاق الأذى بهم ، فقد يكون هذا القش من نفايات بيوتهم ، وقد يكونون لامسوه أثناء سيرهم ، أى أنه شئ كان متصلا بهم بصورة من الصور ، فإذا ما ألحقوا به الأذى فإنه يلحق بهؤلاء الذين كانوا متصلين به بالتبعية ، ويرتكز هذا المعتقد على ما يطلق عليه السير جيمس فريزر قانون الاتصال أو التلامس فيقول " إذا حللنا مادة الفكر التى يقوم عليها السحر فيحتمل أن نجدها تنحصر فى مبدأين اثنين ، الأول هو أن الشبيه ينتج الشبيه ، أو أن المعلول يشبه علته ، والثانى هو أن الأشياء التى كانت متصلة بعضها ببعض فى وقت ما تستمر فى التأثير بعضها فى بعض بعد أن تنفصل فيزيقيا ، ويمكن أن نسمى المبدأ الأول " قانون التشابه " وأن نسمى المبدأ الثانى " قانون الاتصال أو التلامس"، ومن المبدأ الأول أى " قانون التشابه " يستنتج الساحر أن فى استطاعته تحقيق النتائج التى يريدها عن طريق محاكاتها أو تقليدها ، ومن المبدأ الثانى يستنتج أن كل ما يفعله بالنسبة لأى شئ مادى سوف يؤثر تأثيراً مماثلا فى الشخص الذى كان هذا الشئ متصلا به فى وقت من الأوقات ، سواء أكان يؤلف جزءاً من جسمه أو لا يؤلف " [2].

وتلتزم الممارسة بآداب وضوابط تحكمها ، فلها وقتها المعين من اليوم ، وتستعمل فيها مواد بذاتها ، ويتحلى القائم بها بسمات معينة ، ويتخذ هيئة خاصة ، ويتقيد بأحكام محددة، وهى تتكرر مرات محددة ، ثلاث مرات ، أو سبع مرات .

الركن القولى للرقية :

تقوم الكلمة بدور هام فى عملية الرقية ، فهى تلازم العمل دائما ، وقد تغنى عنه فتقوم هى بالدور كله ، إذ يكتفى به فى كثير من الأحوال بمجرد إمرار كف الراقية على جسد المريض

١ - سير جيمس فريزر ، الغصن الذهبى ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ ، ص ١٠٩ .

٢ - سير جيمس فريزر : المرجع السابق ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

مع تلاوة الصيغة القولية للرقية ، ويجسد هذا الاعتقاد أن الكلمة تملك طاقة تأثير عظيمة، يقول أحمد رشدى صالح " نقرأ منظومات السحر فنحس أن ثمة فكرة كبيرة تتمشى خلالها ، أن " الكلمة هى القوة التى يستطيع بها الإنسان أن يقهر القوى المناهضة له أو الخارقة ، وبمعنى آخر فالقول يعنى الفعل وتلك مرحلة بدائية من التفكير تصورها اللغات فى نموها - فالعربية مثلا مرت المرحلة نفسها - على ما يحدثنا ابن الأثير حين كان الفعل " قال " يعنى حدوث شئ ، ويعنى أيضا وبذات الوقت الإخبار عنه " ولو رجعنا إلى الديانة البدائية ألفينا أن " الكلمة " كانت أداة الآلهة سخروها فى خلق العالم ، ذكر « موريه » ما دونه الفراعنة منسوبا إلى الإله آتون رع هو " خلقت كل الأشياء مما يخرج من فمى عندما لم تكن ثمة سماء، ولا أرض " ، ولما كان السحر قرين الدين البدائى ، لذلك اعتمد " الكلمة " وسيلته الأولى ، وشاع المعتقد أن الرقية أو التعزيمة أو القسم يجبر القوى الخفية على أن تطيع الإنسان" [١].

وتعد الصيغة القولية للرقية جزءاً من المأثورات الشعبية ، وهى تقوم بدور هام كما أنها تكشف عن جانب من المعتقدات الشعبية ، يقول الكزاندر هجرتى كراب " تنطوى الرقى والتعاويذ تحت عالم السحر ، وأما ما يتصل بأساسها الروحى فسوف نعود لمناقشته فى فصل قادم ، ولكن يحسن بنا أن ننبه - هنا - إلى أننا إذا طرحنا جانبا معناها السحرى ، ودلالتها السحرية ، وجدناها جزءاً من المأثورات الشفاهية ، فهى خلق إبتداعه الذهن الشعبى ، إرضاءً لدوافع فنيه محددة ، شأنها فى ذلك شأن الأغنية الشعبية ، والأغنية الشعرية القصصية "[٢].

ويقوم النص القولى للرقية شاهداً على طبيعة اللغة فى المأثورات الشعبية ، وعلى دورها فى حياة الناس فهى ليست مجرد حلية لفظية شكلية ، وإنما هى قوة فاعلة ومنتجة ، وخالقة ومفسرة ، وأنها كما تقول الدكتورة نبيلة إبراهيم " كالحبوب تزرع وينمو منها النبات ، فإذا خفنا - على سبيل المثال - من أمر فإننا ننطق تواً بكلمة أو عبارة هى بمثابة تعويذة مثل عبارة " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " كما أننا إذا كنا نؤمل فى أمر فإننا نقول بتفاؤل

---

١ - أحمد رشدى صالح ، الأدب الشعبى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧١ ، ص ١٦٧ و ١٦٨ .

٢ - الكزاندر هجرتى كراب ، علم الفولكلور ، ترجمة أحمد رشدى صالح ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ ، ص ٣٠٧ .

بعيد " إن شاء الله " فالكلمة هنا ينمو عنها شئ آخر غير مجرد الكلمة نفسها ، وهذا الشيء يهدف إما إلى حمايتنا مما يفزعنا ، وإما إلى تقوية الأمل في نفوسنا [1].

ومن الجدير بالذكر أن البخارى قد أورد صيغة قولية لرقية الرسول ﷺ يرقى بها من العين ، إذ روى " عن عائشة رضى الله عنها ، أن الرسول ﷺ كان يعوذ أهله ، يمسح بيده اليمنى ويقول " اللهم رب الناس أذهب الباس ، اشفه وأنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لايغادر سقمًا "[2].

ولقد تيسر للباحث تسجيل عدد من نصوص الرقية ، تصلح لأن تكون مادة يمكن دراستها والتعرف من خلالها على طبيعة هذا الشكل من أشكال التعبير الأدبى الشعبى ، وما حمله من أفكار وقيم وما يكشف عنه من معتقدات ، وما يقوم به من دور فى العمل الذى يستهدف حماية الذرية وتأمينها .

« رقوة ، نص ١ »

" بسم الله الرحمن الرحيم ، الأوله بسم الله ، والتانيه بسم الله ، والتالته بسم الله ، والرابعه بسم الله ، والخامسه بسم الله ، والساتّه بسم الله ، والسابعه بسم الله ، والتامنه فرقت عينى وعين خلق الله على الله ، رب المشارق ، رب المغارب ، ولا يغلب الله غالب .

أنا بارقى ولا باعرفشى ، ربى ياخد بيدى ، العين العنيه ، الخاينه الرّديه ، قابلها سيدنا سليمان فى البريه ، تعوى عوى الدياب ، تنبح نبيح الكلاب ، قال لها اطلعى يا عين يا مؤزيه، ياللى آزيتى ولاد الناس ، لا حُطك فى بحر غطاس لا ينحاس ولا ينداس ، وحبْك عليكى بالزيبق والرصاص ، قالت خد عليه عهد الله ، والخاين يخونو الله ، لا اطْلَعْ لها بلد ولا اجيلها ، والعين عنك تفترق كما افترق الندى عن جميع الورق ، والعين عنك تفتريق كما افترق الندى عن جميع الجريد ، بحق سيدى بكر الصديق ربنا يفك عنك الهم والغم والضيق ، حَجارْده ، بَجارْده ، من كل عين سارْجه ، والعين عنك بارْده ، رقيتك وأسْتَرْقيتك ، من عين امك ، ومن عين ابوك ، ومن عين القوم اللى شافوك من بعيد ومن قريب ، ولا صلوش على النبى الحبيب ، لا صلى الله عليهم ، ولا على والديهم ، يا عينيهم ارْتَدّى لِيهُم ، لعنة الله عليهم .

---

١ - الدكتورة نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، الطبعة الثانية ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ص ٦ و ٧ .

٢ - صحيح البخارى ، الكتاب السابع عشر ، المجلد الثالث ، ج ٢ ، كتاب الشعب ، باب رقية العين ، ص ١٧٢ .

عين المَرَه فيها شَرْشَرَه ، عين الراجل فيها مناجل ، وعين البنت فيها خشت ، وعين الولد فيها وتد .

رقيتك من عين الجاره ، الحاسده المكاره ، اللى تِطُلْ لجارتها وتقول ، يا جاره ، انت بخير وخميره .

تطلع النفس اللئيمه بقدرة الله القويه ، وبكعبة الله المبنيه ، حجاره بجاره ، من كل عين سارجه ، العين عنك بارده ، المَرَه بشوش ، والرجل عَبْسى ، والضيف محمد والطبيخ عَدْسِى ، بحق صورة تبارك وصورة ياسين وآية لكرسى ، ربنا يفك عنك الهم والغم والعَكْسى .

بسم الله الرحمن الرحيم ، انى بارقى ولا بعرفشى ، ربى يا خد بيدى ، النبى رَقَى نَاقْتُو من عين جماعتو ، حَطّلْها العليق ما ضاقتوه ، رقاها واسترقاها ، كلت عليقها وشربت مياها ، الله شفاك وشفاها .

بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد - تكرر ثلاث مرات - ، قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ، من الجنة والناس - تكرر ثلاث مرات - ، قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، ومن شر غاسق إذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد - تكرر ثلاث مرات " [١].

« رقوة ، نص ٢ »

" بسم الله الرحمن الرحيم ، ألف بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله توكلت على الله ، واعتصمت بالله ، وسلمت أمرى إلى الله ، بسم الله الرحمن الرحيم ، يا هادى كل هديه ، يامانع كل رَزِيّه ، يمنع عنك النظرة القوية ، بقدرة الله العليه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، رب المشارق ، رب المغارب ، ولا يغلب الله غالب ، رقيتك من كل عين شهله ، من كل عين زرقه الله عليها وعلى والديها ، يجعل مصارينها بنات رجليها ، اللى شافوك ونظروك ولا صلوش على النبى الحبيب .

---

١ - روت هذا النص صفية عثمان بركات ، من القرين مركز أبو حماد - شرقية .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الأوله بسم الله ، والتانيه بسم الله ، والتالته بسم الله ، والرابعه بسم الله ، والخامسه بسم الله ، والساته بسم الله ، والسابعه تقلع عين خلق الله ، ولاحول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم .

عين الضيف أحد من السيف ، عين الراجل أحد من المناجل ، لقاها سيدى السيد سليمان فى البريه تنبح نبيح الكلاب ، قال لها رايحه فين يا عين يا عنيه يا خاينه يارديه ؟ .

قالت رايحه للى حَبَا واللى دَبَا ، واللى لا عرف له أم ولا أبا ، قال لها اخصى ما خصيتى، من النار ما نجيتى ، لأودّيكى بحر لا ينْغاص ولا ينداس ، وأحلق عليكى بالزيبق والرصاص ، قالت ، خد عليَّه عهد الله سيدى السيد سليمان ، لا أخونك فى عيشه ، قال لها باطلا بطال ، قالت لا أضر بهيم فى رباطو ، ولا صغير فى قماطو ، قال لها باطلا بطال ، قالت لا أضر عريس فى زفه ، ولا رجل فى جلسه ، قال لها باطلا بطال .

سيدنا النبى رقى ناقتو من عين جماعتو ، كانت كسير صبحت تسير ، كلت عليقتها وشربت مياها ، واتتكلت على مولاها ، بقدر الله العلى العظيم .

يا بير بلا قعر ، يا كف بلا شعر ، زال عنك الشر وافترق كما افترق الندى من على الورق، زال عنك الشر وطار ، كما طار الندى من على الجبال .

افترقى يا نفس ، افترقى يا عين ، افترقى افكر ، المره بشوشه والرجل عبسى ، بحق النبى وآية الكرسى ، افترقى بقدرة الله العلى العظيم .

الفاتحه لسيدنا النبى والإمام على ، والإمام الشافعى قاضى الشريعه ، وأوليا ء الله جميعًا ، والأربعه الأقطاب والأربعه الأنجاب ، والأربعه حمالين الكتاب ، يحادوك ، ويراشوك، ويشيلوا عنك النظرة ، والنفس ، والعكس ، بقدرة الله العلى العظيم .

الفاتحة لهم – تقرأ الفاتحة – وصلى الله عليه وسلم " (1).

« رقوه ، نص ٣ »

" بسم الله الرحمن الرحيم ، الأوله بسم الله الرحمن الرحيم ، التانيه بسم الله الرحمن الرحيم ..... السابعه بسم الله الرحمن الرحيم ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، النبى

---

١ – روت هذا النص جميعه محمد سلامه ، من الشبراوين مركز ههيا – شرقية .

ارقه واسترقه ، من كل عين شهقه ، رقيتك من عين المره أحد من الشرشره ، رقيتك من عين الولد أحد من الوتد ، رقيتك من عين الضيف أحد من السيف ، رقيتك من عين البنت أحد من الخشت ، رقيتك من عين حبله بكريه ، ومن عين عاقر مشتهيه ، رقيتك من عين أمك وعين أبوك ، ومن عين القوم اللى شافوك ولا صلوش على النبى ، لا صلى عليهم ولا على والديهم، حسبى الله ونعم الوكيل فيهم ، ترتد عنيهم ليهم ، يا كف بلا شعر ، يابير بلا قعر، يا كافى كل كفيه ، يا عالم بالأسرار الخفيه ، يكفيك شر الرديه .

العين قابلها سيدنا سليمان فى البريه ، تنبح نَبْح الكلاب ، وتعوى عَوْى الدياب ، قال لها خفيتى من الله ما تجيتى ، لأحطك فى قمقم نحاس ، وأشاور عليكى بالبمب والرصاص ، وأحطك يا عين فى بحر لا ينغاص ولاينداس .

فقالت ياسيدنا سليمان ، يا حبيب الله ، خد عليه أهْدَكْ وأهْد الله ، ان العرش يسبت والرب يُعبد ، وكلنا نصلى على عروس القيامه محمد ، لا اله الا الله فى العرش دارت ، لا اله إلا الله فى السما نارت ، لا اله إلا الله عين الحسود غارت ، الشر عنك افترق كما افترق الندى عن الورق النور النور يا مدبر الأمور ، كما دبرت الحجاج فى بيت الرسول .

ان الله كريم فى ملكه حكيم ، يحيى العظام وهى رميم ، قصدت الكافى بقلب صافى ، كفانى الكافى وهو الكافى – تكرر ثلاث مرات – .

بسم الله الرحمن الرحيم ، قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، ومن شر غاسق إذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد . – تكرر ثلاث مرات – ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم " [١].

ويلاحظ من يتأمل هذه النصوص للرقية ما يأتى :

- إنها ذات بناء فنى واضح ومحدد .
- إنها تتميز من حيث الأسلوب بسمات فنية معينة .
- أن لها محتوى ومضمونًا محدداً .
- أنها تعكس بجلاء شخصية الرواية ، وتظهر مدى تأثيره فى النص الذى يرويه .

---

١ – روت هذا النص نوره محمد الفرارجى من العدليه مركز بلبيس .

فمن حيث البناء الفنى للرقية ، يلاحظ أن لها بداية ، ووسط ، ونهاية .

فهى تبدأ عادة بالبسملة ، تتكرر سبع أو ثمانى ، أو تسع مرات ، ثم يأتى الوسط ، وفيه يجرى سرد قصة العين والحسد ، والاستشهاد على وجودهما بشواهد متعددة ، ويجرى ذكر الأهداف لتى تصيبها العين ، والأشخاص الذين يمكن أن يقوموا بالحسد ، ثم تأخذ " الرقوة " فى العمل على إزالة أثر الحسد عن الشخص المحسود . وبعد ذلك تأتى النهاية أو الخاتمة ، التى تكون فى العادة قراءة الفاتحة ، أو المعوذتين ، والصلاة على النبى .

أما أسلوب " الرقوة " فيتميز ، بالجمل القصيرة المسجوعة ، ذات الإيقاع الواضح " العين العَنيّه ، الخاينة الردية ، قابلها سيدنا سليمان بالبرية ... الخ " .

ويلاحظ أن المحسنات فى أسلوب " الرقوة " لا تأتى من قبيل الصنعة والتأنق اللفظى ، وإنما تأتى لتؤدى دوراً هامًا ، فالجمل القصيرة المسجوعة تكون إيقاعًا واضحًا ، يعمل على تكييف جو الممارسة بحيث يصير أدعى إلى الهدوء والاسترخاء ، وتقبل الإيحاء ، وهذه أمور ذات خطر وأهمية فى الممارسة .

كما يتميز أسلوب الرقوة بالتشبيهات " والعين عنك تفترق ، كما افترق الندى عن الورق"، والتشبيه هنا يقوم بمحاكاة وتمثيل الحالة المراد حدوثها للمريض ، بهدف أن تتحقق بالفعل ، ويتسق هذا مع ما سبق إيراده عن سحر المحاكاة ، فالمحاكاة هنا تهدف إلى أن تتحول الكلمة إلى فعل . فتفارقه العين وخطرها ، كما يفارق الندى أوراق الشجر ، وهكذا تسهم الكلمة بكل خصائصها وطاقاتها فى العمل على حفظ الطفل وحمايته من السوء .

أما محتوى الرقية ومضمونها فإنه يدور بشكل أساسى حول العين وخطرها ، ومن تستهدفه والعمل على إزالة ذلك الخطر عمن تعرض له .

ويمكن القول إن مضمون الرقية يتكون من عناصر يعود بعضها إلى أصول فرعونية ، ويعود بعضها الآخر إلى أصول إسرائيلية ، ويرجع بعضها إلى أصول إسلامية .

وتعد حكاية " العين " مع سليمان من أبرز مكونات مضمون الرقية ، فهى بمثابة الشاهد على أن العين حقيقة واقعة ، وأنها تفعل الأفاعيل ، ولقد حظى سليمان بنصيب وافر من الاهتمام الشعبى ، ودارت حوله الحكايات عن ، خاتم سليمان ، وكنوز سليمان ، وقدراته الهائلة ، فقد ارتبط سليمان بعالم الجن والخوارق ، وهى الأمور التى تستحوذ على اهتمام العامة عادة .

ولقد وقع للباحث نص لقصة العين مع سليمان ربما ساعد فى القاء مزيد من الضوء على ذلك الجزء من مضمون الرقية ، وفيما يلى هذا النص : -

" بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ، فقد روى عن نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام ، أنه رأى عجوزاً شمطاء زرقاء العينين ، مقرونة الحاجبين ، خفيفة الساقين ، ناشرة شعرها فاتحة فمها ، يخرج منه لهيب النار ، تشق الأرض بأظافرها ، وتقطع الشجر بصوتها فقال لها السيد سليمان عليه السلام ، هل أنت إنسية أم جنية ، فإنى ما رأيت أقبح منك ، فقالت أنا أم الصِّبيان متسلطة على بنى آدم وبنات حواء ، فإذا دخلت البيت أصيح فيه صياح الديك ، وأنبح فيه نبح الكلاب ، وأجعر فيه جعير الثور والبقرة ، وأرغى فيه رغى البعير ، وأصهل فيه صهيل الخيل ، وأنهق فيه نهيق الحمير ، وأصفر فيه صفير الثعبان ، وأتمثل لهم بكل الأمثال ، وأعقد الأرحام ، وأفنى الأولاد ، وهم لايعرفونى ، وأجئ إلى المرأة أعقد رحمها ، وأتركها لم تحمل ، بسبب سد الرحم فيقولون فلانة عقيمة ، وآتى إلى المرأة عند تخلق جنينها فى بطنها وأنسفها فترميه فيقولون فلانه تسقط الأولاد ، أو معدتها مقلوبة، وآتى إلى المرأة المشترط عليها ، فأعقد الذيل بالذيل وأبشر الخاطبين بالويل ، ثم آتى إلى الرجل وأشرب مَنيه الأبيض الغليظ ، وأترك له بولا أغبش رقيق فيقولون فلان لم يحمل ولم يلد ، وآتى الرجل أعكس بيعه وشراه فإن تاجر لم يربح فى تجارته وإن حرث لم يخرج له شئ ، فهو أنا يا نبى الله ، وإنى أتسبب لبنى آدم وبنات حواء بكل الأسباب .

فقبض عليها السيد سليمان بن داوود عليهما السلام قبضة شديدة ، وقال لها يا لعينه لن تخرجى من يدى حتى تعطينى عهوداً ، ومواثيق عن بنى آدم وبنات حواء ، وعن عقد أرحامهم وأولادهم ونساهم ، وإلا قطعتك بهذا الحسام ، فقالت يا نبى الله خد على العهود ، وأن من كتبها أو علقها فى محله ، أو فى مكان بيعه وشراه ، أو على بهيمة ، أو على أولاده وبناته ، لا أقربه بشئ مادامت هذه العهود معلقة عليه ، وتنفع فى السفر وفى الحضر وفى كل مكان ، وأنى أعاهدك ألا أقرب من علقت عليه ، والله على ما أقول وكيل " [1].

ويلاحظ من يتأمل هذه القصة أوجه شبه بين ماورد فيها حول " أم الصبيان " ، وما ورد بنصوص " الرقوة " حول " العين " ، من حيث صفات كل منهما ، ومن تستهدفانه بخطرهما ،

---

١ - السبع عهود السليمانية ، تطلب من مكتبة الجمهورية العربية ، شارع الصنادقية بالأزهر بمصر .

وتبرز فى قصة " أم الصبيان " الخصوبة والذرية كأهم الأهداف التى تستهدفها بخطرها ، كما تشترك أم الصبيان مع العين فيما كان من مقابلة سيدنا سليمان لكل منهما وفى تصرفه حيالهما ، ووجه الخلاف الوحيد هو أنها تعرف فى الرقوة بالعين ، وتعرف فى الحكاية بـ " أم الصبيان " ، ويبدو أن كلا من العين وأم الصبيان كانتامعروفتين منذ القدم ، فقد أورد أبو بكر أحمد بن اسحق الدينورى حديثًا عن الرسول ﷺ جاء فيه " أخبرنى أبو يعلى ، حدثنا جباره بن المغلس ، حدثنا يحيى بن العلاء عن مروان بن سالم ، عن طلحة بن عبيد الله العقيلى ، عن حسن بن على رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ من ولد له مولود فأذّن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى ، لم يضره أم الصبيان " (١).

ويكشف هذا الحديث عن أن أم الصبيان كانت معروفة للعرب القدماء ، وأنها كانت خطراً يصيب المواليد .

ولعل أم الصبيان أن تكون صورة من صور الأم الكبرى مثل " أمنا الغولة " ، تلك الصور المتعددة التى وردت فى التراث الشعبى ، والتى تبدو فى بعضها خيرة ، وفى بعضها الآخر شريرة ، تقول الدكتور نبيلة إبراهيم " فنجد فى الأساطير الفرعونية أن الإلهة هاتور تمثل الإلهة الأم وهى فى الوقت نفسه الإهة الحرب والموت " (٢).

ولقد كانت العين معروفة عند قدماء المصريين ، يقول الدكتور سيد عويس " والملاحظ أن مفهوم العين عند الذكر والأنثى مفهوم ذو معنى مصرى قديم قدم الدهر منذ أن فقد حورس الشجاع عينه المقدسة التى تسلمها منه أبوه " أوزيريس " بعد أن مات فصار روحًا ، والعين عند القدماء المصريين صارت شيئا خطيراً مقدسًا ، ولعلها لم تفقد قداستها عند المصريين المعاصرين نساءً ورجالاً حتى اليوم ، وأصبحت كتميمة أشبه بالحرز الذى يقى من يحملها من الشرور ، فنراها تعلق على صدور الأطفال فى شكل تميمة زرقاء لتحمى الطفل من عين الحسود " (٣).

---

١ - أبو بكر بن اسحق الدينورى ، عمل اليوم والليلة ، ص ١٦٨ .

٢ - الدكتور نبيلة إبراهيم ، مجلة الفنون الشعبية ، القاهرة ، العدد الثامن ، السنة الثانية مارس ١٩٦٩ ، مقال تحت عنوان " أمنا الكبرى " ، ص ١٩ .

٣ - الدكتور سيد عويس ، حديث المرأة المصرية المعاصرة ، ١٩٧ ، مطبعة أطلس ص ١٧١ .

وقد جاء فى ثنايا الأساطير المصرية القديمة أنه " حين شاخ إله الشمس رع ملك البشر والآلهة وطعن فى السن عرف أن الإنسان فى الصعيد والصحراء يتآمر عليه ، ولذلك دعا مجلسًا له من الآلهة كان يضم من الذكور شو وجب ونونو ، ومن الإناث تفنوت ، ونوت ، وعين رع ، ولقد جرى ذلك سراً حتى لا يعلم الإنسان بأمره ، ثم كان أن أخذ رع بنصيحة الآلهة فأرسل عينه فى هيئة الإلهة حتحور لتقتل الجنس البشرى ، فلما عادت محبورة وقد أنجزت بعض مهمتها ندم رع ، وعزم على إنقاذ من بقى من البشر ، فأمر بجعة حمراء تراق فى الحقول أثناء الليل ، فلما أن عادت العين المتعطشة للدماء وجدت الجعة الحمراء محببة لقلبها ، فكان أن سكرت ، وعجزت عن التعرف على الناس [1].

هكذا تجسدت عين رع فى شكل بقرة " الإلهة حتحور " ، وكانت وبالا على الجنس البشرى، إذ عملت فيه تقتيلا وإبادة .

وعلى هذا يمكن القول أن العين كما ترد فى الرقية ممكن أن تكون ذات أصول فرعونية .

ويتمثل العنصر الإسلامى فى محتوى الرقية فيما جاء فيها من أن النبى " رقى ناقته من عين جماعته ، وأنه رقى واسترقى " ، ويأتى هذا الاستشهاد على أن " العين حق " كما يقولون ، وأن الرقية هى الدواء ، بدليل ما كان من النبى عليه الصلاة والسلام .

ويشتمل محتوى الرقية على الأهداف التى تصيبها العين ، ومن بينها الطفل الصغير " رايحه للى حبا ، اللى دبا ، اللى رعرع واستوى ، وعرف الأم من الأبا " ، ويحتوى مضمون الرقية على التصور الشعبى لماهية الحسد ، فالمحسود " منظور " ، أى مصاب بأثر " نظرة " ، ولهذا يقولون " افترقى يا عين " ، وهو " منفوس " ، أى مصاب بتأثير " نفس " ، ولهذا يقولون " افترقى يا نفس " ، وهو " مفكور فيه " ، أى مصاب بأثر " فكر " ، ولهذا يقولون " افترق يا فكر "

فالحسد بحسب هذا هو تأثير سلبى يصيب الإنسان من أثر نظرة ، أو حالة نفسية أو فكر ، ويعكس هذا الاعتقاد فى خطورة وأثر القوى الإنسانية النفسية والفكرية ، ويحتوى مضمون الرقية على عنصر هام هو تلك العبارات التى تقال لإزالة الحسد ، والتى تتمثل فى البسملة ،

---

١ - أساطير العالم القديم ، ترجمة دكتور أحمد عبد الحميد يوسف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ٤٧ .

والدعاء والتوسل بآيات من القرآن - ويظهر هنا بجلاء الأثر الإسلامى - كما يتمثل فى صيغ الأمر " افترقى يا عين " ، " افترقى يا نفس " ، " افترقى يا فكر " ، وفى صيغ التدمير " عين المره فيها شرشره " ، " عين الراجل فيها مناجل " ، ويلاحظ أن هذه الصيغ تحاكى الفعل المراد إحداثه فى العين الحاسدة ، وهى تنتمى إلى الصيغة السحرية المعروفة بالسحر التشاكلى أو سحر المحاكاة عند فريزر .

وتتمثل خاتمة الرقوة عادة فى تلاوة الفاتحة ، والمعوذتين ، والصلاة على النبى ، وهى الخاتمة التقليدية للكثير من الممارسات والمأثورات الشعبية ، وهى عنصر إسلامى واضح .

ويلاحظ انعكاس شخصية " الراوية " على نص الرقية ، وتأثيرها فيه ، إذ يتضح من مقارنة نصوص الرقية أنها تتسم بسمات مشتركة ترسم لها صورة خاصة ومحددة ، وتشير إلى أنها ربما كانت ذات أصل واحد ، أو نص " أم " انحدرت منه كل النصوص التى تروى ، وأن تلك النصوص مع هذا تختلف فيما بينها من حيث حجمها ، وترتيب عناصر المحتوى ، ومن حيث اللغة والأسلوب ، الأمر الذى يعكس قدرات الراوية ، ذاكرته ، وثقافته ، وذوقه الفنى ، ويؤكد أنه ليس مجرد حامل وناقل للمأثور الشعبى ، وإنما هو مبدع له ، أو مشارك فى إبداعه، يقول يورى سوكولوف " وكشفت الأبحاث المنظمة عن حياة وأعمال رواة البيلينا ، والقصص ، والنسوة منشدات البكائيات ، ومغنيات الأعراس ، وغيرهم ممن يسمون " حملة الفولكلور " كشفت تلك الأبحاث عن الدور الواسع الذى تلعبه فى الشعر الشفاهى كل من المهارة الفنية الشخصية ، والتدريب ، والموهبة ، والذاكرة ، ومختلف أوجه نشاط العقل الفردى ، وإلى جانب ذلك فقد ثبت الآن تماما وتدعم بمئات الأمثلة إن لم يكن بالآلاف أن أيا من " حملة الفولكلور " أى كل فرد مؤد للأعمال الشعرية الشفاهية إنما هو فى نفس الوقت وإلى حد كبير مبدعها ومؤلفها " (١).

وهكذا تعكس الرقية - نصوص وممارسات - الانشغال الروحى الشعبى العميق بأمر الذرية والحرص على سلامتها وصيانتها ، وتأمين حياتها .

---

١ - يورى سوكولوف ، الفولكلور قضاياه وتاريخه : ترجمة حلمى شعراوى ، وعبد الحميد حواس ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ ، ص ٢٢ .

الفصل السادس

اللغــز والذريــة

اللغـــز والذريـــة

تقول الدكتورة نبيلة إبراهيم عن اللغز إنه " شكل أدبى شعبى قديم قدم الأسطورة والحكاية الخرافية ، كما أنه كان يساويهما فى الانتشار ، ولم يكن اللغز فى الأصل مجرد كلمات محيرة تطرح للسؤال عن معناها بين ثلل الأصحاب فى الأمسيات الجميلة ، وهذا ما يدفعنا لأن نبحثه بوصفه عملا أدبيًا شعبيًا أصيلا "(١).

وتنتشر الألغاز بين الطبقات الشعبية انتشارا واسعا ، إذ تقوم بدور هام فى الحياة الشعبية يقول أحمد رشدى صالح " والمشاهد فى الأوساط الشعبية ، أنها تستخدم فى المباريات الذهنية وفى اختبار سرعة البديهة وسعة المعرفة ، يحفظ الصبى أو الفتاة منها قدراً يسوقه عندما ينازل أحد أقرانه ، ويتلهى الأب والأم بإيرادها على مسامع أبنائهما ، ذلك بأن حل اللغز من أكثر الموضوعات رواجًا وقبولا لدى العامة ، ومن أكثر الموضوعات نجاحا فى الأدب الشعبى " (٢).

ولقد كان الإنجاب والذرية من الموضوعات التى دار اللغز حولها ، مما يدل على أن الوجدان الشعبى لم يكد يغادر شكلا من أشكال التعبير الأدبى الشعبى إلا توسل به محملا إياه رؤيته للإنجاب والذرية ، الأمر الذى يبرز مدى الانشغال الروحى بهذا الموضوع الخطير .

وفيما يلى عدد من الألغاز التى تدور حول الإنجاب والذرية :

" فيه بنت راحت لابوها الغيط علشان تقول له خبر ، لقيت معاه ناس أغراب ، فقالت له جانا ضيف من بلاد ما فيهاش غبار ، قعد على ركبتين مادقهم نجار ، وشرب من قدرتين مَنْقَدْشى تحتهم نار " .

هذا اللغز هو صيغة للإخبار بخبر على نحو يحول دون أن يكتشفه الأغراب ، وربما كان السبب وراء هذا أن الخبر من الأهمية والخطورة بحيث لا ينبغى الكشف عنه ، وإشاعته ، لما قد يجلبه هذا من ضرر ، فاللغز بهذا عبارة عن « شفرة » لا يستطيع حل رموزها وتفسيرها

١ - الدكتورة نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، الطبعة الثانية ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ص ١٧٨ .

٢ - أحمد رشدى صالح ، فنون لأدب الشعبى الجزء الثانى ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، أبريل ١٩٥٦ ، ص ١٥ .

فحواها إلا أصحابها والخبر الذى ألْغِزَ وعُمِّىَ فى هذا اللغز هو مولد مولود جديد لذلك الأب ، وقد رمز إليه بـ « ضيف » جاء من بلاد ليس فيها غبار ، رمز لـ " البطن " ، وجلس على ركبتين لم يصنعهما نجار " ركبتا الأم " ، وشرب من قدرتين لم تشتعل النار من تحتهما هما "ثديا الأم " .

ويمكن القول أن الإلغاز فى إعلان مولد مولود جديد يتسق مع اعتاده العامة من اخفاء خبر مولد الولد الذكر مخافة الحسد ، واللغز هو الصيغة المثلى لنقل مثل هذا الخبر ، فهو يعلن الخبر ، ويخفيه فى آن واحد ، يعلنه فى محيط الدائرة الضيقة ، دائرة الأهل الذين يعرفون أسرار " شفرته " ، ويخفيه عن الغرباء الخارجين عن حدود هذه الدائرة ، فهو على حد قول الدكتور نبيلة إبراهيم لغة " جماعة يرتبط بعضها ببعض عن طريق المعرفة والحكمة "[1].

" واحدة ماشيه ، شايله عيل على كتفها ، وقلة مَيّه على ايدها ، قابلها واحد ، قال لها ، اسقينى ، ربنا يخليلك ابنك ، قالت له ، ده مش ابنى ، ده ابن بنتى ، وأخو جوزى ، وجوز بنتى " .

توقع النظرة السطحية إلى منطوق اللغز فى الحيرة ، فهو يشتمل على مجموعة من العلاقات بين الطفل والمرأة التى تحمله يستحيل تصورها ، إما لوقوعها فى دائرة المحرمات ، أو لمجافاتها للمنطق ، فكيف يمكن للطفل أن يكون ابنا لابنه لهذه المرأة ، ويكون فى الوقت ذاته أخا لزوجها ثم يكون بعد كل هذا زوجا لابنتها ؟ ! .

الإلغاز هنا يعتمد على الدخول فى دائرة المحرمات فى العلاقات الجنسية ، كما يعتمد على استحالة قيام بعض العلاقات العرقية ، وهو يعكس الوعى الشعبى بهذه لعلاقات والقيم الدينية والاجتماعية المرتبطة بها .

وتستطيع النظرة المتعمقة إلى اللغز الوصول إلى الحقيقة الكامنة تحت السطح ، إذا تجاوزت التلاعب الأسلوبى الذى عمد إليه اللغز ، فترى حقيقة العلاقة التى تربط الطفل بالمرأة ، وهى على النحو التالى :

تقول المرأة أن الطفل هو ابن ابنتى ، وابن أخى زوجى ، الذى هو زوج ابنتى . فقد كانت المرأة متزوجة من واحد ثم تركته ولها منه ابنة ، ثم تزوجت من آخر ، كان له شقيق تزوج ابنتها

---

١ - الدكتورة نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، الطبعة الثانية ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ص ١٩٤ .

فأنجبا هذا الطفل ، ولقد تعمد اللغز إسقاط بعض أجزاء الكلام التى توضح المعنى الحقيقى ليحدث هذا الغموض وهذه الحيرة معتمداً على نسق العلاقات الجنسية والعرقية التى يحترمها المجتمع .

" واحده شايله عيل وماشيه ، فاتت على واحد بَنّا بِبْنِى فى بيت ، بص لها وسألها ، ابن مين ده اللى على كتفك ؟ .

قالت له يا بَنّى ابْنِى ، وبنَىْ ابْنِى ، الولد أخويا ، وأنا بنت أخته " .

يقوم هذا اللغز حول طبيعة العلاقة بين طفل وامرأة تحمله ، مثل سابقه ، وهو يطرح على المستوى السطحى له مجموعة من العلاقات تربط بين الطفل والمرأة ، لايمكن أن تستقيم لاصطدامها بدائرة المحرمات فى العلاقات الجنسية كما يقرها المجتمع ، وبدائرة المستحيل من العلاقات العرقية من الناحية المنطقية - تماما كما حدث فى اللغز السابق - فهو يقول على لسان المرأة ، إن الطفل ابنها ، وابن ابنها ، وأنه أخوها ، وخالها ، مجموعة من العلاقات المتداخلة والمتعارضة ، التى يستحيل أن تستقيم .

فما هى حقيقتها ؟

هذا ما يريد اللغز أن يوقع فيه السامع الذى يقف عند مستواه السطحى ، فإن هو تعمق واستطاع الإفلات من أحبولة التلاعب اللفظى ، التى نصبها له اللغز ، أمكنه النفاذ إلى أعماقه ، وفك طلاسمه ومعرفة الحقيقة ، وهى على النحو التالى :

قول المرأة " يا بنى ابنى " وكلمة " ابنى " تحتمل معنيين ، الأول ، ولدى ، والثانى فعل الأمر من الفعل بنى ، يبنى ، أى شيد ، ويهدف اللغز إلى أن يأخذ السامع بالمعنى الأول فيعتقد أن الطفل ابنها ، ثم تردف " وابنى ابنى " ، وتأتى كلمة " بنى " ، وهى تحتمل معنيين كذلك الأول ، أنها تصغير لكلمة " ابن " ، والثانى " بالنيئ " أى بالطوب النيئ " لذى لم يحترق فى النار اللبن " ، فإذا أخذ السامع الكلمة بالمعنى الأول وأضاف " بنى " إلى " ابنى " بمعناها الأول كذلك ، لصار الطفل حفيدها ، أى ابن ابنها ، أما إذا أخذ بالمعنى الثانى لـ " ابنى " و "بنى " صار المعنى ابنى البناء بالطوب النيئ ابنى وهو المعنى الحقيقى ، لكن اللغز يريد للسامع أن يأخذ بالمعنى الأول السطحى الظاهر ، فإن وقع فى هذه الأحبولة فإنه يرتطم بعد ذلك بقول المرأة " الولد أخويا " ، الذى يأتى تعقيداً آخر للأمر ، إذ كيف يتأتى أن يكون الطفل ابنها وابن ابنها ، وأخاها فى وقت واحد . ثم كيف يمكن بعد كل هذا أن تكون ابنة أخته ؟ .

والحقيقة أن عبارة " الولد أخويا " هى العبارة الوحيدة التى لا تحمل إلا معناها المباشر والظاهر . وحقيقة العلاقة بين المرأة والطفل هى على النحو التالى :

تقول المرأة يا بناء ابنى الحائط الذى تقوم ببنائه بالنيئ من الطوب ، هذا الولد أخى ، وأنا بنت ، لم أتزوج بعد - البنت تعنى البكر - ، وأنا أخته ، فالولد هو أخ للبنت ، وماعدا ذلك هو تلاعب لفظى يقصد به التعمية والتضليل .

" واحد راح للقاضى ، وقال له : مارأيك يا قاضى تُها فى امرأةٍ تزوجتها ، هى وَلَدْتنى ، وأنا وَلَدْتُهَا .

يقوم هذا اللغز حول طبيعة العلاقة بين السائل وبين المرأة ، وهو يصور هذه العلاقة على نحو يستحيل حدوثه ، هذا على المستوى الظاهر للغز ، فكيف يصح أن يتزوج هذا الإنسان امرأة قد ولدته أى إنها أمه ؟ ، وكيف يستقيم أن يكون قد ولد هذه المرأة كما يريد اللغز أن يوهم ؟ .

لاشك فى أن هذا اللغز وافد على المجتمع الشعبى ، فهو غير عامى اللغة وهو ينتمى إلى مجتمع القضاة ، وكالعادة تكشف النظرة المتعمقة فى اللغز عن الحقيقة التى تتمثل بالنسبة لهذا اللغز فيما يأتى :

إن كلمة " تها " تعد مفتاح حل شفرة اللغز ، وهى اسم القاضى الذى يسأله السائل فيقول ما رأيك يا قاضى " تها " على أنها ضمير للمتكلم - التاء - ، وضمير عائد على المرأة الغائبة - ها - .

وكما كان الحال فى الألغاز التى سبق إيرادها ، يجرى استخدام نسق العلاقات الجنسية والعرقية بين الولد وذويه ، مادة للإلغاز ، حين يصورها اللغز على نحو يتعارض مع ما استقرت عليه الجماعة وتعارفت ، مما يوقع السامع فى الحيرة .

ويمكن القول أنه وإن كان الهدف المباشر من إلقاء اللغز هو التسلية والرياضة الذهنية فإنه يقوم فى الوقت ذاته - فى هذه الألغاز - بإبراز طبيعة العلاقات الجنسية والعرقية السائدة فى المجتمع والتى هى أساس عملية التزاوج والإنجاب ، وهو إذ يفعل هذا إنما يعمق من إحساس أفراد الجماعة بها ، كما أنه يبرز مدى الانشغال الروحى بأمر الذرية والأبناء ويمكن النظر إلى هذه الألغاز على النحو الذى جاءت به على أنها ضرب من ضروب الممارسات التى تهدف إلى حماية الطفل حين تخفى حقيقة اسمه وأنها هنا ترمى إلى إخفاء حقيقة علاقته كإجراء يرمى إلى إخفائه وصرف ما قد يكون هناك من خطر عنه .

خاتمة

خاتمـــــة

وبعد ، فلقد استهدف هذا البحث - كما سبق القول - دراسة المأثورات ، والممارسات الشعبية ، المرتبطة بالإنجاب فى محافظة الشرقية ، بغية التعرف عليها وفهمها ، ثم وصفها وتحليلها ، وتبين ما تحمله من قيم ومضامين تتصل بالإنجاب وبالذرية ، والكشف عن الدور الذى تسهم به مع غيرها من العوامل فى تكييف السلوك الإنجابى للإنسان المصرى الشعبى الذى يستعملها .

ولقد أمكن للباحث أن يجمع قدراً من المأثورات الشعبية المرتبطة بالإنجاب وبالذرية تمثلت فى :

- أمثال شعبية .
- أغان شعبية .
- أدعـــــية .
- قســــم .
- رقــــى .
- ألغــــاز .

وقد عمل الباحث على تصنيف هذه المأثورات ، من حيث الشكل ، ثم قام بدراسة كل منها على حدة ، فكشف عن طبيعته ، وعما يحمله من قيم ومضامين تتصل بالإنجاب وبالذرية ، والمواقف والمناسبات التى يستعمل فيها ، وعن الدلالات التى يمكن استخلاصها منه ، والتى تكشف عن دوره وتأثيره فى حياة مستعمليه ، وتصور نظرتهم إلى الإنجاب والذرية .

ويمكن للباحث أن يجمل أهم النتائج التى تمخض عنها هذا البحث فيما يلى : -

أولا :

- إن هذه المأثورات الشعبية قد عكست بوضوح الاهتمام الشعبى الزائد بالإنجاب وبالذرية الأمر الذى يكشف عن عمق وقوة الانشغال الروحى بهذا الموضوع الحيوى الخطير الذى يتصل بأهم شئ فى حياة الإنسان وهو حفظ نوعه .

- صدق ما سبق قوله - فى المقدمة - من ارتباط المأثورات الشعبية بالأحوال والمواقف والمناسبات المختلفة التى يمر بها الإنسان الشعبى ، ارتباطا عضويا ، وقيامها بوظائف هامة

لاغناء عنها فى حياة الفرد والجماعة ، إذ تعمل على ترسيخ وتأكيد معتقداتها وقيمها الأخلاقية والاجتماعية المتوارثة ، وتربط بين أفرادها وأجيالها بأواصر قوية فتعمل على حفظ حياة الجماعة الروحية ، واستمرارها وتماسكها ، وتعمق وتقوى لدى الفرد الشعور بالانتماء والأصالة ، فتحميه من أن يذبل أو يضيع .

ثانيا :

إن القيم والمضامين الخاصة بالإنجاب والذرية ، التى تحملها المأثورات المختلفة ، متطابقة الأمر الذى يؤكد عمق وأصالة وقوة هذه القيم والمضامين ، ويكشف عن مدى تأثيرها فى نفوس من يستعملونها .

ثالثا :

إن أهم القيم المرتبطة بالإنجاب والذرية ، والتى أمكن استخلاصها من هذه المأثورات ، تتبلور فيما يأتى : -

- أن الأبناء هم زينة الحياة الدنيا وبهجتها ، ومصدر سعادة الأهل .
- أن الأبناء والذكور خاصة ، هم وسيلة الآباء إلى الخلود ودوام الذكر بعد الموت .
- أن الذكور من الأبناء هم قوى الإنتاج الأساسية فى المجتمع الريفى خاصة .
- أن الذكور من الأبناء هم الأمان والضمان للوالدين عند الشيخوخة والعجز .
- أن الذكور من الأبناء هم دعائم العصبية والعزوة ، وتتحقق بكثرتهم الهيبة والمكانة الرفيعة فى المجتمع .
- أن إنجاب الأبناء والذكور خاصة يعمل على تدعيم مكانة المرأة فى بيت الزوجية ، ويرفع من قيمتها فى نظر المجتمع .
- أن الأبناء الذكور هم حماة أعراض الأسرة وأموالها .
- أن الخصوبة ، والقدرة على الإنجاب هى من أهم مقومات الأنثى التى يراعيها المرء عند اختياره لزوجته .
- أن العقم شر مستطير ، وأنه أفدح ما تصاب به الأنثى ، وهو ينتقص من قيمتها ويهدد أمنها واستقرارها العائلى ، الأمر الذى يدفعها إلى ضروب من الممارسات التى تستهدف استجلاب الحمل .

رابعًا :

إن هذه القيم الخاصة بالإنجاب وبالذرية ، ترتبط ارتباطا وثيقا بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة فى المجتمع الريفى خاصة ، والمتمثلة بشكل أساسى فيما يلى:

- سيادة العمل الزراعى ، واعتماد العملية الزراعية على المجهود البدنى الأمر الذى يستلزم وفرة الأيدى العاملة خاصة من الذكور .
- ارتفاع المكانة الاجتماعية للأسرة ذات الحجم الكبير ، والعدد الكثير من الذكور .
- انخفاض مكانة الأنثى بسبب قلة إسهامها فى العملية الإنتاجية من ناحية ، وبسبب اعتبارات الجنس والعرض ، وما لهما من حرمة وخطر فى النفوس ، وما يتطلبه ذلك من جهد للحفاظ على سلامة الأنثى وحمايتها .
- نظام التوريث السائد فى المجتمع ومكانة الذكر فيه ، إذ يحجب الورثة من الأقارب ، ويحول دون تبدد التركة وخروجها من دائرة الأسرة الضيقة .
- طبيعة الأسرة المصرية ، وكونها أسرة أبوية ، يمثل الذكر محورها ، وإليه ينتسب الأبناء.
- ارتباط قيمة الفحولة بالنسبة للذكر ، والخصوبة بالنسبة للأنثى بكثرة إنجابهما .
- حالة التخلف والفقر التى يعيشها السواد الأعظم من أبناء الشعب ، وما ينتج عنها من نتائج ، منها ارتفاع معدل وفيات الأطفال ، الأمر الذى يدفع الزوجين إلى الإكثار من الإنجاب لمغالبة الموت .
- وجود هذه المأثورات الشعبية وسعة انتشارها وذيوعها بين الطبقات الشعبية ، بما تحمله من هذه القيم التى يتعرض لفعلها وتأثيرها الإنسان الشعبى ، فتساعد فى العمل على تشكيل وجدانه وعقليته ونظرته إلى الإنجاب والذرية ، ومن الواضح أنها تدفعه نحو الإكثار من الإنجاب خاصة من الذكور .

خامسًا :

إن هناك قدراً من هذه المأثورات الشعبية يكشف عن نوع من السخرية من الإفراط فى الإنجاب دونما تدبر ، ويدعو إلى الاعتدال فى الإنجاب ، وإلى الاهتمام بتربية الأبناء ، وتوفير احتياجاتهم حتى لا تأتى كثرتهم على حساب نوعية الفرد وما ينبغى أن يكون عليه من الصفات الحسنة ، كما يصور المتاعب والأعباء التى يتحملها الأهل ، نتيجة لاجتماع كثرة

الذرية بالفقر، لكن هذا القدر من المأثورات الشعبية قليل ، ولا يمكن الحكم بناءً عليه بأن المجتمع المصرى الشعبى لا يرغب فى الإكثار من الذرية ، ويمكن القول بأن ما جاء بهذه المأثورات الشعبية من الشكوى هو شكوى من الفقر ومن سوء الأحوال أكثر ما هو برم بكثرة العيال .

ولا يقلل هذا من قيمة هذه المأثورات الشعبية ، ولا ينفى إمكان الاستفادة بها فى صياغة رسائل إعلامية مناسبة توجه للطبقات الشعبية المصرية ، تنبههم إلى خطورة الإسراف فى الإنجاب وتحضهم على الاعتدال ، وتحثهم على العناية بالأبناء حتى يكونوا بحق قرة أعين لوالديهم وعوامل تقدم ونهوض لمجتمعهم .

سادسًا :

إن المأثورات الشعبية أميل إلى المحافظة بحكم طبيعتها ، لأنها فى أصلها ونشأتها صدى للفعل ، ولهذا فهى تصور الحاضر والماضى أكثر مما تصور المستقبل ، وهى عامل ضبط أكثر مما هى عامل تغيير ، بل إن بعض المأثورات الشعبية قد يقف عائقا في وجه التغيير ، كالأمثال الشعبية الداعية إلى التواكل والسلبية والنفاق .

ولايعنى هذا أن المأثورات الشعبية هى قيود جامدة تكبل حركة المجتمع ، وإنما يعنى أن المأثورات الشعبية هى أثر من آثار الفعل ، تلازمه وتتسق معه لترتبط به ، وأن العامل الحاسم فى التغيير والتقدم هو الفعل .

ولا يقلل هذا بحال من الأحوال من أهمية وخطورة المأثورات الشعبية ، ولا ينتقص من دورها فى عملية تغيير المجتمع إلى الأفضل ، فلا سبيل أمام الشعب الذى يريد النهوض والتقدم إلا أن يعرف ويعى ذاته فى عمق وشمول ، ماضيه وحاضره و معتقداته وقيمه ، عاداته وتقاليده ، الإيجابى منها والسلبى ، فيستمسك بكل ما هو إيجابى ، ويعمل على تأكيده والاستمرار به ، ويسقط كل ما هو سلبى ويتخلص منه ، لينطلق بعد هذا حراً قويًا ، قادراً على بناء حياته الكريمة على أسس قويمة وصلبة ، وفى هذا المقام تقوم المأثورات الشعبية نافذة رحبة وعميقة ، يمكن أن يطل منها الشعب على أعماقه وأغوارها ، وأن يستكشف أصوله ومكوناته ، ويمارس فى وعى وجدية عملية المراجعة والاختيار ، ثم الالتزام والممارسة الجادة والمخلصة ، والتعبير الصادق عن القيم والمضامين التى تسفر عنها هذه الممارسة .

آراء ومقـــــترحات

آراء حول العطاء الأدبى والفنى
فى مجال الدعوة إلى ترشيد السلوك الإنجابى الشعبى

فى نوفمبر ١٩٦٥ صدر القرار الجمهورى بانشاء المجلس الأعلى لتنظيم الأسرة فى مصر برئاسة رئيس الوزراء وعضوية الوزراء الذين تسهم وزراتهم فى العمل على حل المشكلة السكانية وكان من أهم اختصاصات هذا المجلس وضع خطة شاملة لتنظيم الأسرة فى مصر ، ووضع نظام للتنفيذ والإشراف والمتابعة والتقويم لهذه الخطة ، ولقد قام المجلس بوضع خطة كان من أبرز ما اشتملت عليه :

- توفير وسائل منع الحمل فى جميع أنحاء البلاد .
- القيام بنشاط فى مجال الدعاية والإعلام بأهمية تنظيم الأسرة .

وفى يناير ١٩٦٦ أنشئ الجهاز التنفيذى لتنظيم الأسرة ليكون مسئولا عن برمجة جميع الأنشطة المتعلقة بتنظيم الأسرة ، وبإنشائه بدأ تنفيذ ما عرف بالبرنامج القومى لتنظيم الأسرة فى مصر ، وذلك بتوفير وسائل منع الحمل فى عدد ١٩٩١ مركزاً صحيا تنتشر فى أنحاء القطر ، وقد صاحب هذا العمل نشاط إعلامى كان يعمل على التعريف بوسائل منع الحمل المتاحة ، ويشرح كيفية استعمالها ، ويحث السيدات على استخدامها ، ويبين أضرار كثرة الحمل والولادة على صحة الأم والطفل ، ومزايا الأسرة قليلة العدد[١] .

ولقد أقبلت أعداد من السيدات على استعمال وسائل منع الحمل التى وفرها المشروع القومى لتنظيم الأسرة [٢].

ويمكن القول إن العمل على تجنب الحملة بوسيلة من الوسائل كان شيئًا معروفًا وقائمًا فى الأوساط الشعبية المصرية من قبل أن يبدأ المشروع القومى لتنظيم الأسرة ، فقد عرفت المرأة

---

١ – انظر ، الدكتور عبد الرحيم عمران ، مصر ومشكلاتها السكانية وتطلعاتها ، نشر جهاز تنظيم الأسرة والسكان بمصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، فبراير ١٩٧٧ ، ص ٢٧٣ وما بعدها.

٢ – انظر المرجع السابق .

الشعبية واستعملت العديد من الوصفات لبلدية لتجنب الحمل مثل " الملح ،و عصير الليمون ، السكر ، الأسبرين " [١].

ويبدو أن هذا الأمر هو من القدم فى الحياة المصرية بحيث يرجع إلى العصور الفرعونية ، يقول الدكتور عبد العزيز صالح " رجا المصريون الأولاد لدنياهم وأخراهم ، وساعدتهم طبيعة أرضهم وأوضاعها الاجتماعية والدينية على أن يستزيدوا من العيال دون أن يتوقعوا عنتا كبيراً وإملاقا . ولكن على الرغم من ذلك كله لم يكن لديهم ما يمنع الأم من أن تتجنب الحمل إذا ضعفت عنه ، أو تخوفت العجز عن تربية صغارها إذا تعاقب الواحد منهم بعد الآخر ، واهتموا بإيجاد وسائل معينة تؤدى إلى منع الحمل عاما أو عامين أو ثلاثة أعوام على حد قول طبيب مصرى قديم "[٢] .

ولقد استرعى الانتباه أنه منذ أن أدخلت وسائل منع الحمل الحديثة " الأقراص واللوالب " الحياة الشعبية على هذا النطاق الواسع من خلال المشروع القومى لتنظيم الأسرة ، بدأت تنسج من حول استخدامها حكايات شعبية تكشف عن نظرة قطاعات من الشعب إلى الدعوة إلى تنظيم الأسرة ، وتنم عن المعتقدات الشعبية الخاصة بالإنجاب والذرية ، ومن أهم هذه الحكايات ما يلى : -

- " كانت إحداهن تتعاطى أقراص منع الحمل ، لكنها حملت دون أن تدرى ، وظلت تتعاطى الأقراص وهى حامل ، ولما وضعت مولودها نزل فى " برنس " ومعه حبوب منع الحمل التى كانت الأم تتعاطاها " .
- " كانت إحداهن قد ركب لها « لولب » لكنها حملت رغم ذلك ، ولما وضعت مولودها نزل وهو يمسك فى يده « عكاز » - كناية عن اللولب - " .
- " قال أحدهم إن زوجته كانت تتعاطى الأقراص الخاصة بمنع الحمل مخالفة إياه ، فقد نهاها عن استعمالها ، فحملت ، ولما وضعت نزل مولودها وفى كل يد من يديه ستة أصابع وكذلك الحال فى قدميه ، وأنه قد سمع أن إحداهن كانت تتعاطى أقراص منع الحمل فحملت رغم ذلك ولما وضعت جاء مولودها ونصفه الأعلى على هيئة حصان " .

---

١ - سمع الباحث عن هذه الوصفات من القرويات خلال تجواله فى قرى محافظة الشرقية .

٢ - الدكتور عبد العزيز صالح ، الأسرة فى المجتمع المصرى القديم ، المكتبة الثقافية ، العدد ٤٤ أول سبتمبر ١٩٦١ ، ص ٣٤ .

- " يقال أن كثيرات كن يتعاطين أقراص منع الحمل ، ولما توقفن عن تعاطيها حملن ، وجاءت كل واحدة منهن باثنين فى المرة الواحدة بدلا من واحد ، أى إن الله قد خلف ظنهن "[1] .

يلاحظ من ينظر فى هذه الحكايات باحثا عن دلالاتها ، وعن الباعث على ظهورها ، يلاحظ أنها نشأت بين أناس يعتقدون أن فى استعمال وسائل منع الحمل معارضة لمشيئة الله وقدرته فى خلق الإنسان ، ويعتقدون أن الإنجاب وظيفة إنسانية مقدسة لا ينبغى لأحد أن يعمل على تعطيلها أو أن يتدخل فى مسارها ، وأن من تسول له نفسه أن يقترف هذا الإثم فكأنما يعاند الله ولهذا فهو يجازيه بأن يخلف ظنه ويأتيه بعكس ما أراد .

وهنا يبرز سؤال هو كيف يتوافق هذا الاستنتاج مع ما سبق إيراده من أن العمل على تجنب الحمل بوسيلة من الوسائل كان شيئا معروفا وقائما فى الحياة الشعبية المصرية منذ القدم ؟ .

وللإجابة عن هذا السؤال يمكن القول إن الإنسان المصرى الشعبى ينظر بكثير من الشك إلى ما يلقى إليه من الآخرين ، ومن السلطة بشكل خاص ، ويرجع شكه فى السلطة إلى تجربته المريرة معها . فقد تعلم من تلك التجربة أنه لا يأتيه من قبل السلطة إلا الشر " الجباية ، السخرة ، الظلم " وبما أن الدعوة إلى تنظيم الأسرة من خلال البرنامج القومى لتنظيم الأسرة كانت دعوة رسمية تحملها وتساندها أجهزة الدولة ، فقد كان أمراً طبيعى أن ينظر إليها الإنسان الشعبى بكثير من التوجس والشك هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فإن الدعوة إلى تنظيم الأسرة على ذلك النطاق الواسع ، وبذلك الإلحاح قد استثارت فئات معينة من الشعب المصرى ، بعض رجال الدين ، وبعضًا ممن بدا لهم أن هذه الدعوة يمكن أن تهدد مصالحهم ، مثل الداية ، والمأذون ، فراحوا جميعًا يحاربونها عن طريق استثارة بعض المعتقدات الراسخة فى الوجدان الشعبى المصرى ، مثل إرادة الله الأزلية فى الخلق ، ومسألة الرزق ، وأن الدعوة إلى تنظيم الأسرة مبعثها الخوف من الفقر بينما ضمن الله الرزق للجميع " الأرزاق على الله " و "كل واحد بيجى برزقه " ، كما استثاروا بعض المشاعر العنصرية ، فأثاروا مسألة التوازن بين عنصرى الأمة وأن البعض يرمى إلى الإكثار من أعداد عنصر والإقلال من أعداد العنصر الآخر لمآرب سياسية ودينية ، واستثاروا كذلك المشاعر الوطنية فربطوا بين الدعوة إلى تنظيم الأسرة

---

١ - استمع الباحث إلى هذه الحكايات من أفواه الفلاحات أثناء زياراته الميدانية لقرى محافظة الشرقية .

وبين النظرة الاستعمارية إلى مصر ، وإلى العالم الإسلامى وقالوا إنها دعوة استعمارية هدفها النهائى القضاء على الإسلام والمسلمين .

لقد تفاعل كل هذا على الأرضية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى سبق لإشارة إليها فعمل على تهيئة ودفع الوجدان الشعبى لنسج مثل هذه الحكايات التى تجسد رد الفعل المترتب على هذه الدعوة الموجهة إلى الوجدان والعقلية الشعبية على ذلك النحو ، وكأنها قالب معين يراد صب الجميع فيه ، فى حين كان تجنب الحمل قبل هذا سلوكًا فرديًا نابعًا من داخل الفرد يأتيه استجابة لدوافعه الذاتية ، ونتيجة لظروفه الخاصة ، وبإرادته الحرة دونما إملاء أو إيحاء من أحد .

لقد كان القيام بنشاط فى مجال الدعاية والإعلام بأهمية تنظيم الأسرة من أبرز ما اشتملت عليه الخطة التى وضعها المجلس الأعلى لتنظيم الأسرة ، ولهذا كانت الدعوة إلى تنظيم الأسرة موضع اهتمام المسئولين عن تنفيذ البرنامج القومى لتنظيم الأسرة ، وفى إطار هذا الاهتمام طرحت تساؤلات كثيرة دارت حول طبيعة الرسالة الإعلامية التى ينبغى توجيهها كيف تكون؟ إلى من توجه ؟ فى أى شكل تصاغ ؟ ، عبر أى القنوات ترسل ؟ .

ويمكن القول إنه قد بذلت محاولات متعددة فى مجال الدعوة إلى تنظيم الأسرة ، استهدفت التعريف بوسائل منع الحمل التى تم طرحها فى المراكز الطبية ، وكيفية استخدامها ، كما عملت على حث السيدات على استعمال تلك الوسائل ، وذكرت مخاطر كثرة الحمل والولادة على صحة الأم والطفل ، ومزايا الأسرة قليلة العدد .

ولقد أخذت هذه المحاولات أشكالا متعددة ، شعارات ، ملصقات ، أفلام سينمائية قصيرة وتليفزيونية ، أغان ، عروض مسرحية ، محاضرات ، ندوات ، لقاءات ، نشرات وكتيبات – لا يهدف هذا الجزء من البحث إلى تقويم التجربة الإعلامية فى مجال تنظيم الأسرة ، وإنما يتعرض لبعض أشكال الدعوة فى هذا المجال خاصة ما كان منها ذا طبيعة أدبية – .

ولقد تفاوت حظ كل شكل من هذه الأشكال من الذيوع والانتشار ، ويمكن القول إن الأغنية التليفزيونية المصورة التى عرفت بـ « حسنين ومحمدين » كانت من أكثر هذه المحاولات شيوعًا وانتشارا ، لهذا فقد وقع عليها الاختيار لتكون موضوعا لدراسة هذا الشكل من أشكال الدعوة إلى تنظيم الأسرة .

تتردد هذه الأغنية على ألسنة الكبار والصغار فى قطاعات واسعة فى القرية والمدينة فى محافظة الشرقية ، وتغنيها المطربات الشعبيات فى الأفراح ، وقد سجلت على أشرطة التسجيل وصارت تباع لدى باعة هذه الأشرطة ويقبل عليها المشترون .

تقول كلمات الأغنية :

" حسنين ومحمدين زينة الشباب لتنين

بص وشوفهم يا بوى حسنين ومحمدين

واه يابوى يابوى يابوى

حسنين كان زينه وله مراته كما الغزال

لكن الخلفة الكتيره ملتهم بالهزال

بص وشوفهم يا بوى حسنين ومرته يابوى

آه يا بوى يا بوى يا بوى

أول ولد جابوه نصبو الأفراح شهور

وتانى ولد يابوى فرحو يادوب سبوع

وتالت ولد مازاد الفرح عن يومين

ورابع ولد ما عاد يفرح القلبين

بص وشوفهم يابوى حسنين ومرته يابوى

واه يا بوى يا بوى يا بوى

وخامس ولد جابوه الحمل صار تقيل

وسادس ولد يا خال كل الحمل ما ينشال

وسابع ولد لاتنين صبحت حياتهم ويل

حسنين ومرته يابوى صبحم عدم يابوى

بص وشوفهم يابوى حسنين ومرتو يا بوى

واه يـــا بـــوى يـــا بـــوى يـــا بـــوى

لـكـين مـحـمـديـن بـالـعـقـل قـال يـا خـال

مـلـولـد يـكـفـه اتـنـين ويـعـيـشـو عـال الـعـال

ومـرتـه عـاقـلـه وزيـن قـالـت كـفـايـه اتـنـين

واديـكـو أهـم شـايـفـين لِـتْـنـين مَـقْـطـقـطـين "

تقوم كلمات الأغنية - كما هو واضح - بالمقارنة بين سلوك كل من حسنين ومحمدين من حيث الإنجاب ، فتستعرض أولا حياة حسنين ، وتبين كيف أنه بدأ حياته الزواجية سعيداً موفقًا مع زوجته الجميلة ، ولما أنجبا مولودهما الأول استقبلاه بفرح غامر ، فلما جاء مولودهما الثانى كانت فرحتهم به أقل ، وهكذا راحت فرحتهما تقل كلما جاءهما مولود جديد ، حتى إذا جاءهما المولود السابع كانت حياتهما قد صارت ويلا وعدما ، تريد الأغنية بهذا أن تقول إن كثرة الأولاد تقلل من قيمتهم فى نظر والديهم من ناحية ، وتشقيهما وتعذبهما من ناحية ثانية ، ثم تنتقل الأغنية بعد هذا إلى محمدين فتصفه بأنه كان على العكس من حسنين عاقلاً فاختار من بداية حياته الزوجية أن يكتفى من الذرية بأثنين قط ، ولقد كانت زوجته من العقل هى الأخرى بحيث وافقته على ذلك ولهذا فقد عاشا مع طفليهما فى هناء وسعادة .

وتريد الأغنية من المستمع أن يكون عاقلا مثل محمدين فلا ينجب إلا اثنين فقط ، لكى يعيش هو وأسرته فى سعادة وهناء ، ولا يكون مثل حسنين الذى أكثر من الإنجاب فجلب على نفسه وعلى زوجته وأولاده الهم والشقاء .

هذا ما تريده الأغنية من المستمع ، فهل اتنع به كل من استمع إليها وحفظها ورددها ؟ .

وهل يعنى ذيوع هذه الأغنية وانتشارها على هذا النطاق الواسع تقبلا لمضمونها على ذات الاتساع ؟ .

يستطيع الباحث أن يقول بناء على ما خرج به من ملاحظات من خلال لقاءاته بالعديد من المواطنين من مختلف الأعمار والبيئات والمستويات الاجتماعية والثقافية ، الذين يحفظون هذه الأغنية ويرددونها ، يستطيع أن يقول إن انتشار هذه الأغنية وترددها على هذا النطاق الواسع لايمثل تقبلا لمضمونها وما ترمى إليه من أهداف ، وأن الذين حفظوها ورددها إنما حفظوا ورددوا لحنها الشعبى الجميل ، وإيقاعها الراقص فى المقام لأول .

لقد قال واحد ممن التقى بهم الباحث بشأنها " أغنية جميلة لكن معناها حرام " ، وقالت إحدى الأمهات " إنه بمجرد أن تنبعث دقات إيقاع الأغنية وموسيقاها تأخذ طفلتاى فى الرقص وطبعا لا تعنيهما كلمات الأغنية فى كثير أو قليل " ، وقالت إحدى القرويات " هل من المعقول أن يكون لواحده سبع أولاد وتبقى حزينة انها تِتْحسد " .

وهكذا أخذ المستمع شكل الأغنية وترك مضمونها ، أخذ شكلها لأنه يتوافق مع ذوقه وحسه الفنى وترك مضمونها لأنه لا يتوافق مع قيمه ونظرته إلى الإنجاب والذرية .

وترتيبا على هذا يمكن القول :

- إن مثل هذه الأغنية لايمكن أن تتحول إلى أغنية شعبية ، لأنها تفتقر إلى المضمون الشعبى النابع من وجدان الجماعة المعبر عن روحها وقيمها ونظرتها إلى الذرية ، وإن أكبر ما تحققه مثل هذه الأغنية هو أن تشيع فترة من الوقت اعتماداً على شكلها ثم لا تلبث أن تخفت وتتلاشى ، ذلك أن الأغنية الشعبية والمأثور الشعبى بوجه عام لايمكن أن يصطنع ويفرض على الوجدان الشعبى حتى ولو ارتدى أردية شعبية .

- إن شيوع كلمة وترددها على الألسنة لا يعنى اعتناق مضمونها .

مقترحـــات

لقد كشف البحث عن وجود عدد من الأمثال الشعبية التى تصور العبء الثقيل الذى يتحمله الآباء نتيجة لوجود العدد الكثير من الأبناء مع حالة الفقر السائدة بين الطبقات الشعبية ، والتى تصور الآثار الضارة التى تصيب المرأة وتترتب على تتابع وكثرة مرات الحمل والولادة ، والتى تسخر من المرأة التى تسرف فى الحمل والإنجاب حتى تتجاوز الحد المعقول ، وتدعو إلى الاعتدال فى الإنجاب ، وإلى الاهتمام بتربية الأبناء ، والعناية بهم ، وتوفير مايلزمهم من أسباب الحياة الكريمة لينشأوا نشأة صالحة .

ولقد أشار الباحث فى أكثر من موضع من البحث إلى هذه الأمثال ، وإلى أنها تصلح أن تكون مادة يمكن أن يستفيد منها العاملون فى مجال الدعوة إلى ترشيد السلوك الإنجابى للمواطن المصرى الشعبى ، إذا هم ضمنوها رسائلهم الإعلامية الموجهة إلى القطاعات الشعبية المستهدفة بالدعوة .

ويمكن القول إن هذه الأمثال لو أحسن الاستفادة منها فإنها يمكن أن تجعل الرسالة الإعلامية الداعية إلى ترشيد السلوك الإنجابى الشعبى أكثر قبولا لدى الطبقات الشعبية المصرية ، لأنها باستخدامها هذه الأمثال الشعبية فى مخاطبة هذه الطبقات فإن حديثها يكون منها وإليها ولأنها حينئذ تتعامل معها بعملتها التى تتداولها ، والتى ضربت فى دارها – على حد قول الدكتور عبد العزيز الأهوانى – وهو ما يجعلها أكثر تأثيراً فيها .

ويمكن تقسيم هذه الأمثال إلى أقسام يتصل كل منها بـ " قيمة " من القيم المرتبطة بالإنجاب وبالذرية ، والتى كشف عنها البحث ، وأظهر أنها تقوم من وراء السلوك الإنجابى للمواطن المصرى الشعبى ، والمتسم بالميل إلى الإكثار من الإنجاب .

وهذه الأمثال تكشف عن الآثار السلبية المترتبة على كثرة الإنجاب والذرية ، والتى ينعكس أثرها على كل قيمة من هذه القيم .

فهناك الأمثال التى تتصل بـ " قيمة أن الذرية هى سبيل الآباء إلى الخلود ، والذكر الحسن بعد الموت " .

وهى تكشف عن أن الذرية يمكن أن تكون سببا للإساءة إلى ذكرى الآباء بدلا من أن تكون سببا يعطر هذه الذكرى ، وذلك حين تكون الذرية سيئة ، ويقول المثل " الولد الزفت يجيب لأهله اللعنه " أى الولد سيئ السلوك بين الناس يجلب على أهله سخطهم ، ويستنزل عليهم لعناتهم ، ومن أكثر الشتائم التى توجه إلى مثل هذا الوالد " الله يلعن اللى جابوك " ، " الله يلعن اللى خلفوك " ، " الله يلعن اللى ولدوك " ، " الله يلعن البطن اللى شالك " ، " الله يلعن اللى ربوك" .

فالولد الذى لم يحسن أهله تربيته وتأديبه يصير سببا للإساءة إليهم بدلا من الإحسان ، ويصبح على حد قول المثل " خلفت الشوم والندامه " .

ويمكن الاستفادة بهذه الأمثال فى تنبيه الأهل إلى أن الذكرى الحسنة لا تتحقق بمجرد الإنجاب وإنما تتحقق بالذرية الطيبة التى تحصل على تربية طيبة وأن مثل هذه التربية قد لا تتيسر للعدد الزائد عن الحد من الأبناء .

وهناك الأمثال التى تتصل بـ " قيمة أن إنجاب العدد الكثير من الأبناء يدعم مكانة المرأة فى بيت الزوجية ، ويربط إليها زوجها برباط وثيق لايمكن فكه " .

تكشف هذه الأمثال عما يصيب المرأة من جراء تتابع وكثرة مرات الحمل والولادة من آثار ضارة بصحتها وعافيتها وجمالها الأمر الذى قد يعرض مكانتها وعلاقتها بزوجها للخطر فهى تقول :

" الولاده حرب الصبايا "

" ما بتبنشى البضاعة إلا بعد الحبل والرضاعه "

" من ولد ولد والتانى بقى عجوز فانى "

" مش يا بخت من ولدت يا بخت من سعدت "

" الولاده بتولد والدور على المعيشه "

" الولاده بتولد والدور على السعاده "

" اللى ما يغليهاش جلدها ما يغليهاش ولدها "

ويمكن الاستعانة بهذه الأمثال فى تنبيه المرأة إلى خطورة تتابع وكثرة مرات الحمل والإنجاب على صحتها وجمالها ، وإلى ما قد يترتب على ذلك من إمكان أن ينصرف عنها زوجها وينظر

إلى من هى أكثر صحة وجمالا ، وأن العبرة ليست فى مجرد الإنجاب وإنما فى الحياة الهنيئة التى تنعم فيها الأسرة بحياة طيبة خالية من الحاجة والعوز ، وأنها حين تنجب عدداً أقل فإنها تحقق لنفسها وزوجها ما يرغبان فيه من الذرية ، وتحفظ على نفسها صحتها وجمالها ويتمكنان من النهوض بتبعات التربية الصالحة .

وهناك الأمثال التى تتصل بـ " قيمة أن الكثرة من الأبناء تحقق العزوة وتدعم العصبية " . وهى تكتشف عما قد يترتب على كثرة الذرية من نتائج سلبية تتصل بحياة الأسرة ووضعها فتقول :

" من كتر ولاده قل زاده "

" فقر وكتر عيال "

" كترتهم بتْقل قيمتهم "

" كتار الدبكه وقلال البركه "

" كتر الدريه بتضيع الميراث "

تصور هذه الأمثال ما يترتب على كثرة الذرية مع حالة الفقر التى يعيشها السواد الأعظم من أبناء الشعب من آثار منها تضاؤل نصيب الفرد من متطلبات الحياة الكريمة من مأكل وملبس ، ومن فرص العلاج والتعليم والتدريب الأمر الذى يؤدى إلى تدنى قيمة هذا الفرد العلمية والعملية كما أن كثرة الذرية مع صغر حجم الملكية يؤدى فى النهاية إلى تفتت هذه الملكية وضياعها حين تتوزع بين عدد كثير من الورثة ، ومن المعروف إن « قيمة الملكية » كانت من القيم المرتفعة فى المجتمع الريفى ، وعلى هذا فإنه يمكن القول أن العدد المناسب من الأبناء قد يكون أدعى إلى أن يحصل كل منهم على حظ أفضل من العناية والرعاية الأمر الذى يرفع من خصائصه ومن قيمته فى الحياة .

وهناك الأمثال التى تتصل بـ « قيمة الخصوبة » ، وتسخر من المرأة التى تسرف فى الحمل والإنجاب حتى تجاوز الحد المعقول فتقول :

" حبله ومرضعه ، وجاره أربعه ، وطالعه الجبل تدور على دوا للحبل وتقول ياقلة الدريه "

" عامله زى البقّه ، تجيب ميّه ، وتقول يا قلة الدريه "

" عامله زى الأرنبه "

" الواحد يقول لها صباح الخير تحبل ، عواف تولد "

" ملت السعر والوعر "

" ملت الدنيا والآخره "

تتهكم هذه الأمثال على تلك المرأة التى لايكاد الإنسان يراها إلا حاملا أو مرضعا ومن حولها أطفال صغار فى سن متقاربة لايكاد يميز بينهم ومع هذا فهى لا تتوقف عن الحمل والإنجاب ، وتشبهها هذه الأمثال بالحيوانات والحشرات التى اشتهرت بكثرة نسلها ، كما ترسم لها صوراً كاريكاتورية مضحكة تنفر منها .

وهناك الأمثال التى تتصل بـ " قيمة أن الأبناء هم مصدر البهجة والسعادة لذويهم " ، وهى تكشف عن مدى القلق والانشغال اللذين تمتلئ بهما نفوس الأهل بسبب وجود الأبناء ، وعن حجم العبء الذى يتحملانه من أجلهم ، تقول الأمثال :

" مجبهمش قلب وارتاح "

" العيال عايزين أب سعيد وأم من حديد "

" أم العيال مشلوله ولو كانت شملوله "

" من يُومْكو ياولادى ماهْنِيلى زادى ، ولا مَدَغت لِبانه ، ولا نمت جنب أبوكم عريانه "

" ترْبايِة العيال زى مدغ الزلط "

فإن كان الأبناء مصدر سعادة لذويهم فهم كذلك مصدر لقلقهم وانشغالهم ، ذلك أن محبتهم الزائده يقابلها خوف زائد عليهم وقلق شديد من أجلهم بسبب ما قد يتعرضون له من متاعب ، ولعل من أصعب الأمور على نفس الإنسان أن يجد نفسه عاجزاً عن تلبية مطالب ابنه الصغير وسد احتياجاته ، وتربية الأبناء ليست بالشئ الهين اليسير فالأبناء يحتاجون أبا سعيداً واسع الثراء حتى يستطيع الإنفاق عليهم ، ويحتاجون أما من جديد ، قوية لا تكل ولا تمل ، والأم عادة مسكينة " مشلوله ولو كانت شملوله " ، وبما أن معظم الآباء هم عادة أناس من العاديين ومحدودى الدخل ، وكانت الأمهات نساء عاديات من لحم ودم ، أفلا يكون من الأفضل أن يكون أبناؤهم فى حدود ماللديهم من إمكانيات ، حتى يستطيعوا أن يفوا لهم باحتياجاتهم ، وحتى ينشأ الأبناء على صورة حسنة فيكونوا قرة أعين للأهل ومصدر سعادة وبهجة لهم .

وهناك الأمثال التى تدعو صراحة إلى الاعتدال فى الإنجاب وتحض على الاكتفاء بالعدد القليل من الأبناء ، والاهتمام بتربيتهم وإكرامهم فتقول :

" قِلْ من طيرك واطعم وقِلْ من وِلْدَك واكْرِم "

" واحد مَكْسى أحسن من عشره عريانين "

" واحد أبْرَك من ميّه "

هذه الأمثال كما هو واضح دعوة مباشرة وصريحة إلى الاعتدال فى الإنجاب ، وهى تأخذ فى حسابها الواقع المتخلف الذى تعيشه الطبقات الشعبية ، والذى لا يتيح للإنسان أن يربى ويعتنى بالعدد الكثير من الأبناء ، فتقول إن العدد القليل الذى يقوم الإنسان بتربيته تربية جيدة أفضل من العدد الكثير الذى ينشأ مهملا لم يأخذ حقه من العناية والرعاية .

يمكن للعاملين فى مجال الدعوة إلى ترشيد السلوك الإنجابى للمواطن المصرى الشعبى أن يستفيدوا بهذه الأمثال فيضمنوها رسائلهم الموجهة إلى الطبقات الشعبية كما سبق القول .

- يمكن أن يكون مضمون المثل موضوعا لتمثيلية إذاعية أو تليفزيونية ، أو لعمل مسرحى من فصل واحد .
- يمكن أن يكون مضمون المثل مادة للملصق .
- يمكن أن يكون مضمون المثل مادة لصورة كاريكاتورية .
- يمكن أن يكون المثل محوراً لحديث مباشر وغير مباشر بين الداعية والجمهور المستهدف .

ولا يجب أن يغيب عن الأذهان أن الكلمة أيا ما كانت صورتها والشكل الذى تقال من خلاله لايمكن أن تغنى عن الفعل ، لقد أثبت البحث أن القيم المرتبطة بالإنجاب وبالذرية ، وأن السلوك الإنجابى للمواطن الشعبى المتسم بالميل إلى كثرة الإنجاب ، كلها نتاج طبيعى للظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى يعيش فى ظلها هذا المواطن .

فإذا ما أريد حقا تغيير هذا السلوك إلى الأفضل فينبغى تغيير هذه الظروف إلى الأفضل ولا سبيل إلى هذا إلا العمل العلمى الجاد ، والكلمة الصادقة التى ترشد إليه ، وتدل عليه وتلازمه ، وتنتج عنه .

ولا يجب أن يغيب عن ذهن أحد أن أبناء الشعب المصرى يقولون " أسمع كلامك يعجبنى ، أشوف أمورك أستعجب " يدينون الكلمة الكاذبة المنفصلة عن الفعل ، ويدينون الإنسان الكاذب الذى يقول مالايفعل ، وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾ .

الـــــــرواة

١ - أحمد الفقى ، خفير آثار بمنطقة صان الحجر بمركز الحسينية .

٢ - أم إسماعيل عبد العزيز ، فخرانية ، قسم النحال ، الزقازيق .

٣ - آمنه خليل ، جده ، الهوابر مركز ديرب نجم .

٤ - أمين على مسعود ، فخرانى ، مدينة بلبيس .

٥ - أمينه حسين ، عاملة بالمنطقة الأثرية بصان الحجر ، مركز الحسينية .

٦ - بدرية إبراهيم صابر ، داية ، أكياد البحرية ، مركز فاقوس .

٧ - بديعة إبراهيم أبو العلا ، داية ، الشبراوين ، مركز ههيا .

٨ - توحيده أحمد ، ست بيت ، السبخة ، مدينة الزقازيق .

٩ - جميعه محمد سلامه ، الشبراوين ، مركز ههيا .

١٠ - حليمه صالح على ، داية ، قسم النظام ، الزقازيق .

١١ - خادمة سيدى سعدون ، مدينة بلبيس .

١٢ - خديجة غنيمى مصطفى ، فلاحة ، بهجات ، مركز الزقازيق .

١٣ - داية الحوض الطويل ، مركز منيا القمح .

١٤ - داية بلبيس .

١٥ - رزقه ، دايه ، الجديدة ، مركز منيا القمح .

١٦ - زكيه على نصر الدين ، داية ، صان الحجر ، مركز الحسينية .

١٧ - زينب محمد السيد ، ٦٠ سنة ، السبخة ، مدينة الزقازيق .

١٨ - زينه كيلانى ، فلاحة ، صفيطه ، مركز الزقازيق .

١٩ - سعيد الصاوى ، مفتش آثار شمال الشرقية ، مركز الحسينية .

٢٠ - سمير شوقى حمايه ، موظف ، كفر محمد حسين ، مركز الزقازيق .

٢١ - صابرين عبده محمد عبد الحليم ، فلاحة ، صان الحجر ، مركز الحسينية .

٢٢ - صفية عثمان بركات ، ست بيت ، القرين ، مركز أبو حماد .

٢٣ – صنع الله جاد ، مهندسة زراعية ، المساكن الجديدة ، مدينة الزقازيق .

٢٤ – عبد الكريم الشاذلى عيسى ، بائع فول ، السبخة ، مدينة الزقازيق .

٢٥ – عبد الله إبراهيم محمود ، مزين قلل ، الحسينية ، مدينة الزقازيق .

٢٦ – عبد الله على شايش ، سمكرى ، قسم النحال ، مدينة الزقازيق .

٢٧ – عزيزة إبراهيم منصور ، ست بيت ، الهوابر ، مركز ديرب نجم .

٢٨ – عزيزة محمد على خاطر ، جده ، القرين ، مركز أبو حماد .

٢٩ – عليه السيد ، فلاحة ، صفطية ، مركز الزقازيق .

٣٠ – فاطمة محمد على ، جده ، القرين ، مركز أبو حماد .

٣١ – فاطمه العلوية ، داية ، السماعنة ، مركز فاقوس .

٣٢ – فايزة عثمان بركات ، ست بيت ، القرين ، مركز أبو حماد .

٣٣ – فتحية منسى ، داية ، الجديدة ، مركز منيا القمح .

٣٤ – كوثر أمين ، عاملة ، منطقة صان الحجر الأثرية ، مركز الحسينية .

٣٥ – مبروكة حسن على ، جده ، الهوابر ، مركز ديرب نجم .

٣٦ – محمود عشم المنسى ، فلاح ، مدينة بلبيس .

٣٧ – مسرات محمد عبد العواض ، مدرسة بلبيس الثانوية للبنات .

٣٨ – ناعسه محمد سرحان ، بدوية محترفة عمل وصفات بلدية ، الشبروابن ، مركز ههيا .

٣٩ – نحيه عبد العزيز السطوحى ، عجوز ، شيبة النكارية ، مركرز الزقازيق .

٤٠ – نورا محمد الفرارجى ، العدلية ، مركز بلبيس .

٤١ – هانم أحمد خليل ، جده ، أكياد البحرية ، مركز فاقوس .

المـــــــراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - أبو بكر أحمد بن محمد بن اسحاق الدينورى ، عمل اليوم والليلة ، الطبعة الثانية مطبعة دائرة المعارف ، بعاصمة حيدر أباد ، الدكن ، ١٣٥٨ هـ .

٣ - أحمد الديربى ، مجربيت العالم العلامة الشيخ أحمد الديربى ، الطبعة الرابعة ، المطبعة العامرية المليجية ، ١٣٧٧ هـ .

٤ - أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٣ .

٥ - أحمد رشدى صالح ، الأدب الشعبى ، الطبعة لثالثة ، مكتبة لنهضة المصرية ، ١٩٧١ .

٦ - أحمد رشدى صالح ، فنون الأدب الشعبى ، الجزء الثانى ، دار الفكر ، الطبعة لأولى ، أبريل ١٩٥٦.

٧ - الدكتور أحمد مرسى ، الأغنية الشعبية ، المكتبة الثقافية ، العدد ٢٥٤ .

٨ - السبع عهود السليمانية ، مكتبة الجمهورية العربية ، شارع الصنادقية بالأزهر بمصر .

٩ - الكزاندار هجرتى كراب ، علم الفولكلور ، ترجمة أحمد رشدى صالح ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ .

١٠ - البخارى ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيره البخارى ، صحيح البخارى ، دار ومطابع الشعب .

١١ - البونى ، شمس المعارف الكبرى .

١٢ - الكلبى ، أبو المنزر هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، الأصنام ، تحقيق الأستاذ أحمد زكى ، نشر الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

١٣ - سير جيمس فريزر ، الغصن الذهبى ، دراسة فى السحر والدين ، ترجم باشراف الدكتور أحمد أبو زيد ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .

١٤ - سير جيمس فريزر ، الفولكلور فى العهد القديم ، ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ .

١٥ - سير جيمس فريزر ، الفولكلور فى العهد القديم ، ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ، الجزء الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .

١٦ - الدكتور حسين نصار ، الشعر الشعبى العربى ، المكتبة الثقافية ، العدد ٦٠ ، مايو .

١٧ - سعد الخادم ، مجلة الفنون الشعبية ، القاهرة ، العدد السادس ، ١٩٦٨ ، مقال تحت عنوان الخرز الشعبى والعقائد المرتبطة به .

١٨ - سلامه موسى ، مصر أصل الحضارة ، المطبعة المصرية .

١٩ - الدكتور سيد عويس ، حديث عن المرأة المصرية المعاصرة ، مطبعة أطلس ، ١٩٧٧ .

٢٠ - الدكتور شكرى محمد عياد ، البطل فى الأدب الشعبى والأساطير .

٢١ - صمويل نوح كريم ، أساطير العالم القديم ، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف ، مراجعة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .

٢٢ - الدكتور عبد الرحيم عمران ، مصر مشكلاتها السكانية وتطلعاتها ، نشر جهاز تنظيم الأسرة والسكان بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، فبراير ١٩٧٧ .

٢٣ - عبد الغنى الشال ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد السادس ، العدد الرابع ١٩٧٦ ، مقال تحت عنوان الفخار الشعبى فى مصر .

٢٤ - الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، فى ذكرى طه حسين ، اشراف الدكتور عبد الرحمن بدوى ، مقال تحت عنوان أمثال العامة فى الأندلس .

٢٥ - الدكتور عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها جـ ١ ، الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٦٢ .

٢٦ - الدكتور عبد العزيز صالح ، الأسرة فى المجتمع المصرى القديم ، المكتبة الثقافية ديسمبر ١٩٦١ .

٢٧ - الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، أساطير مصرية ، سلسلة قرأ ، دار المعارف الأولى ١٣٢١ هـ .

٢٩ - الدكتور عثمان خيرت ، مجلة الفنون الشعبية ، القاهرة ، العدد العاشر ، سبتمبر ١٩٦٩ ، مقال تحت عنوان قلة السبوع .

٣٠ - الدكتور عز الدين إسماعيل ، مجلة التراث الشعبى العراقية ، العدد الرابع ، السنة الثامنة ، ١٩٧٧ ، مقال تحت عنوان فى الطريق إلى جمع التراث الشعبى المدون تجربة استطلاعية فى معاجم اللغة .

٣١ - الدكتور على عبد الواحد وافى ، الطوطمية ، سلسلة اقرأ ، دار المعارف ، مصر العدد ١٩٤ .

٣٢ - فريدريش فون ديرلاين ، الحكاية الخرافية ، ترجمة الدكتور نبيلة إبراهيم ، الألف كتاب ، ٥٦١ ، دا ر نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٦٥ .

٣٣ - الدكتورة فلورنس بودر ميكر ، مرشد الآباء والأمهات ، ترجمة محمد محمد عبد القادر ، عفاف فؤاد ، الألف كتاب ، العدد ٨٥ .

٣٤ - الدكتورة فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر القاهرة .

٣٥ - الدكتور محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ، دراسة فى الأنثروبولوجيا الثقافية ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥ ، دار المعارف .

٣٦ - الدكتور نبيلة إبراهيم ، مجلة الفنون الشعبية ، القاهرة ، العدد الثامن ، السنة الثانية ، مارس ١٩٦٩ ، مقال تحت عنوان أمنا الكبرى .

٣٧ - الدكتورة نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، الطبعة الثانية ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .

الموضوع

صفحة

رقم الإيداع ٩٦/٧٨٠٤
الترقيم الدولى I.S.B.N 977 - 5487 - 47 - 1
دار روتابرينت للطباعة ت: ٣٥٥٢٣٦٢ - ٣٥٥٠٦٩٤
٥٣ شارع نوبار - باب اللوق

الإنجاب والمأثورات الشعبية





للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES